أزمة الواقعيّة في واقع الأدب العربي

محي الدين صبحي

يقول أندريه مالرو في بعض حديثه :
« يبدأ الاديب بمحاكاة الادب ثم ينتهي الى محاكاة الحياة » . ويرمي الاديب الفرنسي من ذلك الى التأكيد على أن الكاتب الناشيء يعكس في أدبه ما تردد من حوله وفي نفسه من مفهومات تصورية عن الادب في مضمونه وشكله ، كما يقرر أن رؤية الحياة الواقعية واستخلاص صورة أدبية عنها يحتاجان الى نضج وتعمق يقتضيهما حسن المميز بين الواقع الموضوعي والتصور الادبي السائد والخيال الذاتي الذي يؤلف عبقرية الفنان .

في البدء كان الخطأ. فقد ولدت الواقعية الادبية في سورية ولادة شاذة منذ أوائل الخمسينات على أيدي شبان موهوبين من اعضاء رابطة الكتاب السوريين ، وكان قد سبقهم الى ذلك بعض اللبنانيين من أمثال رئيف خوري ، ثم تلاهم المصريون فعم السيل وطفح الكيل . لم يطرح مفهوم الواقعية الادبية منذ البداية على أنه تصور الكاتب عن علاقة الفرد بشريحة من المجتمع هي طبقته التي تحدد حياته وتصرفاته وتطلعاته وعواطفه، ومفهومه عن الصراع بين طبقات المجتمع المختلفة ذات المصالح المتباينة . على أن مفهوم الكاتب عن مكونات فكرية تشكل في تلاحمها شخصية أمة ينتمي اليها الكاتب ، وهي شخصية تتجاور ما يراه الكاتب من اشتباكات محلية في قريته أو مدينته أو حيه أو حتى في قطره لتجد مثيلاتها فيقرى ومدن أخرى خلال الممارسة الادبية ، على انه صراع مشخص بين فرد مسحوق مضطهد وفرد متسلط مستغل : بين أجير ورب عمله ، بين ماسح أحذية وصاحب صندوق البويا ، بين عاهرة وامرأة تشغلها بين فلاح واقطاعي ، بين طالب فقير ووالد فتاة جميلة غنية الخ .. وأريد منذ البداية لاشخاص هذا الصراع أن يكونوا (نماذج) عن الطبقات التي يمثلونها ، أو يفترض أنهم يمثلونها ، فمنذ البدء ولدت الواقعية ولادة افتراضية وتصورا ذهنيا لا وجود له الا في رؤوس كتابها . انها واقعية مقطوعة الصلة بالواقع ، تغذت بعاملين : الدمغة (السياسية) و (التظاهرات) القلمية التي تقوم بهامجموعة متضامنة ممن يريدون أن يصبحوا كتابا ، فيهللون لكل انتاج يصدر عن اعضاء مجموعتهم ويرذلون كل انتاج أو نقد يأتي من خارج اشخاصهم ـ هكذا بلا تمييز فالمهم تكاثر الاقلام التي تكتسح وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة،بانتاج يتمحور على مضمون واحد أو موحد ، وبذلك سقط النقد وانتهى

عهد القيم الادبية ليبدأ في تاريخ الادب العربي منذ الخمسينات عهد التنظير والمنظرين ، وهؤلاء طبقة علاقتها بالادب سطحية عابرة ولاتعبأ بأي مقياس من مقاييس النقد الادبي ، وسيلتها الوحيدة للحكم على الاثر الادبي محاكمة مضمونة محاكمة سياسية ظاهرية لاعطاء الدمغة السياسية الرسمية التي تكون معدة سلفا ، لانها ، في الواقع ، حكم على الكاتب والبطل القصصي قبل انيولدا فالكاتب يحاكم بحسب منشئه الطبقي،أي قبل أن يولد،ثم ينسحب الحكم بالتبعية على مخلوقاته القصصية دون أن يحاول أحد من السادة المنظرين أمعان النظر في فحوى القصة أو مواقف الابطال من الحياة ، بصرف النظر عن المواقف الشخصية لصانع اولئك الابطال ، لا احد يعترف بأن الادب ينفصل عن صاحبه ، وأن بلزاك مثلا كان تقدميا في تخييله على الرغم من رجعيته في مواقفه السياسية ، فلقد صور بلزاك بنجاح صعود الطبقة البرجوازية وشجب في وقت مبكر انتهازيتها السياسية ومواقفها الاستغلالية لكنه كان من المعجبين بنابوليون الثالث وأتباعه من بقايا النبلاء الاقطاعيين والضباط التوسعيين ٠

يقابل بلزاك في المفارقة بين الموقف السياسي والانتاج الادبي على الصعيد العربي في اطار الادب السوري، الدكتور عبد السلام العجيلي الشاعر والقصصي والروائي٠ فهو سليل عشيرة بدوية تقيم في شمالي سورية وقد مارس السياسة حين بلغ الثلاثين من عمره نائبا عن عشيرته في مجلس النواب السوري عام ١٩٤٧ ، وأنهى حياته السياسية وزيرا للاعلام عام ١٩٦٢ ٠ وتتميز ممارساته السياسية بأنها ليبرالية على وجه العموم ، فقد بدأها ابان أزمة الحكم الوطني بعيد الاستقلال ، وتخبط البلاد اثر أول نكبة عربية في مجابهة الغزو الصهيوني عام ١٩٤٨ ، وقد اشترك متطوعا في حملة جيش الانقاذ مما أتاح له خبرة عملية في أمور النكبة ٠ تدور قصصه حول ثلاثة محاور : قصص فلسطينية تؤرخ للنكبة والمقاومة ورؤية الفرد العادي للفداء قبل أنيتشكل العمل الفدائيبما يقرب من خمسة عشر عاما ٠ وقصص محلية تعالج علاقات الفرد بالطبيعة وبالجنس الاخر ٠ وقصص قومية ـ أوربية تصور الوجدان في صلته المفاجئة بالحضارة الاوربية الغازية والفرد الاوربي غير الغازي ٠ وهذه الناحية الاخيرة يتفرد بها العجيلي في الانتاج الادبي السوري ان (سالى) و (قناديل اشبيلية) تصوران عربيا شديد التماسك في وقفته أمام حضارة الغرب الآلية ٠ وأما قصصه الفلسطينية عن النكبة والفداء فتسبق بالزمان ـ على الاقل كل ما كتبه في هذا الموضوع عرب غير فلسطينيين ، كما أنها تصدر عن تجربة مباشرة في ساحات القتال وفي المدن الاسيرة وفي المخيمات التي اقيمت علىعجل ـ انتظارا لعودة قريبة٠ وهي مشاهدات وتجارب ومعاينات لم تتوفر للكثيرين من حملة الرؤى الذين يشهرون اقلامهم لتحرير فلسطين ٠

وأما قصصه المحلية فانها تصور صراع الانسان مع الطبيعة وقدرته على تحويل الطبيعة من (قدر) لايرد الى قوة تذعن صاغرةلارادة الانسان وخيره(وهذه الفكرة جوهر الفكر التقدمي الانساني منذ عصر النهضة الاوروبي في القرن السادس عشر) ٠ وقصته (النهر سلطان) شاهد لا يدحض : بدوي جرف فيضان النهر بيته وحمل ابنه الصغير في تدفقه ، هذا البدوي يشمت بالنهر حين يسمع كيف ستقيم الحكومة على الفراتالعظيم سدا يكبح جماحه ويمنعه من الاضرار بالبشر ، وقد كتبت هذه القصة قبل ان يقوم السد ٠ ومع ان الكثيرين من (التقدميين) استلهموها وقلدوها في حماستهم لاقامة السد فان القصة وصاحبها تشتمان وتنعتان بالرجعية والغيبية والتخاذل ٠

هذا من حيث المضمون ، وأما من حيث الشكل فان العجيلي رائد عظيم من رواد الشكل الروائي العربي ، لقد رجع الي القصص الشعبية واقتبس منها شكل (الحكاية) ، وتعمق في (الف ليلة وليلة) واستمد منها طريقة توليد قصة من قصة ، وهي طريقة تماثل النمط العربي في البناء حيث تفضى قاعةالى قاعة ومزج كل ذلك مزجا كيمياويا عجيبا بتقنيات تشيكوف وموباسان ٠ هذا العمل الطليعي وحده يبوىء العجيلي مكانة سامية في التخييل العربي فهو يفوق ما قدمه تيمور ونجيب محفوظ معا على هذا الصعيد الفريد والصعب وكان من واجب الادباء الشبان أن يفيدوا من محاولته ويقلدوها ان لم يستطيعوا أن يطوروها ، كما كان من واجب النقاد الشبان أن يدرسوا هذه المحاولة ويزكوها لكي يعملوا على نشرها بين أصحاب صنعة التخييل فيسبيل استنباط شكل عربي للقصة والرواية ـ لكن هؤلاء وأولئك لم يجدوا في جعبتهم

غير صيحات الاعجاب بالشكل وصرخات الاستنكار للمضمون • كل ذلك لان المحاكمات السياسية الديماغوجية مقرونة بالغاء العقل والالتفات عن التأمل وصرف النظر عن التفكير النقدي الجاد •

ان من واجب أية مدرسة نقدية أ نتحاكم النتاج الادبي القريب والبعيد من خلال منظوراتها الايديولوجية للشكل والمضمون ، فتغربله وتستبقى منه مايراه صالحا يستحق البقاء والافادة منه ، أما الغاء نتاج أديب بأكمله دون تمحيص ولا تدقيق فليس ذلك موقفا نقديا ولافكريا ـ أنه الغاء للاديب نفسه تصفية من نوع ما ، وكل ذلك لايدل على تبصر بل يدل على الجهل والجهالة،والجاهل وحده يلغي معاصريه ويلغي التراث ويعتبر نفسه بداية ، أما الثوري فهو عالم بكل ما للعلم من معنى المحافظة على حركة الفكر كل حركة ثورية حركة علمية تسعى الى فرز العناصر التي تجدها في التراث ملائمة لتقدم الادب وتقدم المجتمع ، وتعتبر هذه العناصر ذخيرتها الحية لكي لا تزعم أنها تبدأ من نقطة الصفر ، ففي كل تراث نوع من المعاصرة تكشف عنه الحركة الفكرية المجددة وتزعم أنها ستأخذه وتطوره • لكن هذه الطبقة الجديدة من الادباء والنقاد حين تعزل نفسها عن هذا النشاط الفكري الخلاق لا تقضي فقط على حركة الفكر لتقف في فراغ ، وانما تسعى بكل الوسائل الى ان تفقد ثقة القارىء بها ، هذا القارىء الذي ما يزال ينشد في الاثر الادبي المتعة الجمالية الى جانب الفائدة الاجتماعية ، ولم اجد ناقدا مهما كان متحاملا قد جرؤ على الزعم بأن اثار العجيلي قد فقدت متعتها وأن قراءه قد انصرفوا عنه •

اعتقد أننا الان بلغنا نقطة يحسن بنا ان نراجع عندها ونلخص الافتراضات التي رأينا أن الواقعية السورية خاصة (والعربية عموما) تقوم عليها وتعمل بموجبها على صعيدي الادب والنقد •

واقعيتنا على صعيد الادب هي :

١ ـ واقعية تجزيئية مستغرقة في البيئة المحلية الضيقة ، وليس لها رؤيا عربية حضاريا •

٢ ـ واقعية أفرادوأحداث مقتطعين منالواقع الضيق وليست واقعية علاقات يطل بها القارىء من خلال الفرد والحادث على أفق العلاقة بين الفرد وطبقته أو بين الطبقة وبقية طبقات المجتمع أو بين المجتمع والقيم التي تحكمه سواء أكانت قيما موروثة أو مفروضة حديثا •

٣ ـ واقعية انماط عزلت عن حركة الواقع وافترض أنا تمثله • فهي بالتالي واقعية تصورية •

واقعيتنا على صعيد النقد الادبي هي :

١ ـ الغاء دور النقد الادبي بما هو بحث في صحة البنية الشكلية للعمل الفني وعلاقتها بمضمونه فكل مناقشة في الشكل أو الاسلوب ترفض وتدان بأنها رجعية •

ـ واقعية نظرية غير أدبية،يفرضها منظرين يقتصرون على محاكمة سياسية ـ دون أن يدققوا في ناحيتين : الاولى قدرة الكاتب على تحويل لقطته الحياتية الى أدب لان الادب غير الحياة •

والثانية قدرة الاثر الادبي على كشف الواقع كشفا احتجاجيا يبشر بواقع جديد ، أي فضح الواقع وتثويره •

٣ ـ واقعية سلفية بمعنيين : محاكمة الكاتب بحسب منشئه دون النظر في انتاجه ـ وحتى عندما ينظر المنظر في الاثر الادبي فانه يتمحل الاعذار ليضع النص على سرير بروكوست لكي يوافق منطلقاته ، وواقعية سلفية بمعنى انها تقتصر على تصوير الواقع الحالي والواقع الماضي وليس غريبا مثلا : ان نجد ان معظم الروايات التي تشجب الاقطاع والنقد الذي يروج لها قد صدر بعد تطبيق قوانين الاصلاح الزراعي في مصر أو سورية • مما يدل على قصور الفكر عند النقاد وقصور الرؤية عند الادباء كما يدل ايضا ان دفع المنظر للشعار من عالم السياسة الى عالم الادب ليس كافيا لفبركة الانتاج المطلوب ، مهما كانت نوعيته بل لا بد منمضي وقت يتمثل خلالهما الاديب الحالة المعطاة • ومما يلفت النظر أن الادب للاقطاع قد تكاثر في سورية خلال السبعينات ، أي بعد اثني عشر عاما من أول

محاولة للاصلاح الزراعي حدثت في دولة الوحدة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر في اواخر عام ١٩٥٨ ٠ فماذا يعني هذا ؟ هل يعني ، كما يقولون ،أن الادب يلهث دائما خلف السياسي ؟ أم يعني ان مشاغل الاديب ، في الواقع،لاتتطابق مع مشاغل السياسي ففي الفترة المذكورة وما بعدها تكاثر انتاج الادب القومي متمثلا في روايات مطاع صفدي وصدقي اسماعيل ، أما تأخر ادب الاقطاع أو محاربة الاقطاع وفضحه اكثر من عقد من الزمان فيعود الى الفترة التي اقتضاها اعداد ابناء الفلاحين اعدادا ثقافيا يؤهلهم للتعبير عن أنفسهم ومشكلات مجتمعهم وصراعاته ٠ وهذا يفضي بنا الى المشكلة النقدية الثانية التي تدور حول قدرة الكاتب على تحويل المعاناة الحياتية الى أدب ، لان الادب غير الحياة ، وقدرة الاثر الادبي على كشف الواقع كشفا احتجاجيا يبشر بواقع جديد، أي فضح الواقع وتثويره ٠ وهذه النقطة تحتاج الى ان نتلبث عندها لانها تطل من بعيد على علاقة الكاتب بالسلطة ٠ وهي علاقة ليست سارة ولا مرضية ٠ بحكم الطبيعة التي جبل عليها الادب ، والطبيعة التي جبلت عليها السلطة أداة قمع وتكريس للواقع وتثبيت لتطوره ضمن أطر مرسومة محددة سلفا ، أما الادب فاحتجاج على عالم وتبشير بعالم يعتبره الاديب عالما أفضل ٠ والصدام يقع دائما بين الواقع والتطلع ٠

فقد غضب احد المسؤولين على اديب تعرض له مسرحية مطبوعة ، فطلب نصها ليتقرى فيه ما يمكن تفسيره بأنه اساءة الى السلطة كي يستعديها ٠ سألني أحد المشفقين على الاديب :

هل تعتقد ان في المسرحية ما يوجب وقف عرضها ٠

أجبت :

ان كانت ادبا ، فنعم ٠

ذلك أن كل الادب احتجاج ٠ يستوي فيه الادب العاطفي الاسيان ، أو الاجتماعي الغاضب ، أو التاريخي الخيالي ٠ لا فرق ٠ فما دام يطلب من الاديب أن ينشىء عالما من خياله له مقومات تجعلنا نتقبله خلال قراءته على أنه عالم ممكن ، فان هذا العالم سوف يكون بالضرورة عالما مختلفا عن الواقع الذي نعيش فيه ٠ لا يهم ان كان عالم الادب أفضل أو أسوأ من عالم الواقع المهم أنه عالم ، وأنه يختلف عن عالمنا ٠ وفي هذا المعنى يقول بومجارتن الفيلسوف الجمالي الادب عالم مغاير ٠

يذكر عالم الناس المحبوسين الضائعين اليائسين ، فيذكر على الفور :كافكا يذكر عالم الناس المأزومين المتوترين الذين يرون الحياة على أنها ضحية بالذات فيذكر على الفور دستويفسكي ٠ يذكر عالم الجنس والشهوات المحرمة والصراع اليائس ضد كل الاعراف في سبيل نزوة ، فيذكر على الفور نابوكوف أو مورافيا ٠ يذكر عالم الصراع في سبيل تأكيد الذات ضد الطبيعة ، والاستمتاع بصرف الجهد والمال من أجل ذلك التأكيد ، فيذكر على الفور همنغواي وشتاينبك ٠

كل من هؤلاء الاعلام خلق عالمه على مثاله وصورته ، كما يتخيل هو الناس وكيف يجب ان يكونوا فانجب عالما له سمات عالمنا الواقعي ٠ لكنه يختلف عنه فمن ينشد العدالة يخلق عالما أعدل من عالمنا الظالم الذي نعيش فيه ، ومن يشجب الاضطهاد وسحق الانسان يصور عالما أكثر ظلما وتعسفا وظلاما من عالمنا ـ ان كان هذا ممكنا ومن يبتغي خلع العذار احتاج الى رجال لاتردعهم الروادع والى نساء لاينطفىء لهن أوار وهما محط الشاهد ٠ فلكي ينجح الاديب في اقامة عالمهيحتاج الى أناس يمثلون مايريد تمثيلا صادقا ، فالمناضل في الرواية أكثر نضالا من أي بطل حقيقي ، وكذلك البائس وكذلك المغامر ، ومن منا لا يذكر في (الف ليلة وليلة) شخصية العاشق الولهان الذي يذرف الدموع وينشد الاشعار ويهيم على وجهه في البراري والقفار ؟ ربما يبتسم البعض الان من هذه الصورة ، ولكن حذار : فحين قرأناها لمنتلبث عندها برهة لمناقشتها بل مضينا مع البطل نفرح ونتألم ونضيع،بحسب ما تعرض له من صروف الدهر ٠ وليست (الف ليلة) بدعا في هذا فأبطال دوستويفسكي سريعو الانفعال كابطالها ٠ وهاملت طالب الثأر من عمه بدم أبيه ، من أكثر الناس ترددا في تاريخ الادب العالمي ـ في حين أن سيف الدولة في عالم اشعار المتنبي من أكثر الناس حزما وحسما

وسرعة في اتخاذ القرار : ولكن مهلا ، فالبطلان متشابهان هاملت شكسبير يتردد طالما يبحث عن دليل على أن عمه قتل أباه • وسيف الدولة عند المتنبي مثال لاعمال الروية، وتقليب الافكار على وجوهها • والتدقيق في الامور وتمييز مشكلاتها • ذلك أن البطل في عالم الادب نموذج لصنفه: ولكنه نموذج معرض دائما لاتهام القارىء• اذا لم يفلح الاديب في اقناع القارىء بأن البطل شخص من الواقع ، انهار عالم الاديب بأكمله ،ولذلك يعرض شكسبير هاملت لمحنة التردد،لكي يقنعنا بان هذا الشخص واقعي فنصدق ونبرر له ما يأتي بعد ذلك من أعمال ، كذلك يعرض المتنبي سيف الدولة لروية التأمل ليقنعنا بعد ذلك بصواب رأيه وشجاعة فتكه وحنكة تدبيره • فهو ، وان كان يتحدث عن بشر فانه يجعله اكثر من البشر • وعليه أن يبرهن لنا عن ذلك •

وإذن فعالم الادب يأخذ صفات الواقع أو سماته ويضع فيها نموذجا يتحرك فيخلق بردود فعل النموذج وما يترتب عليها من نتائج ، عالما مغايرا لما نحن فيه ، مختلفا عما نمارسه • هذا الاختلاف بين العالمين ، عالم الواقع وعالم الادب ، يفسح المجال لخلق الانطباع بالسخط على ماحولنا ،بل على أنفسنا أيضا وبذلك يكون الادب تحريضا ويكون البطل قدوة • هذا أمر كامن في طبيعة الادب ، لا معدى له عنه ولا مفر • فما دام الاديب يبتكر عالما مخالفا لعالمنا ، بأن يكبر ناحية ويصغر أخرى ، ويتشدد في جانب ويترك جانبا سائبا عن عمد ، فانه يعرض علينا عالما اخر انه يبصرنا باحتمالات اخرى في الحياة وبانماط اخرى للمجتمع • ولا يكتفي الاديب بذلك ، بل يقدم لنا البطل الذي استطاع أن ينجز ، الذي مات دون هدفه • البطل هو الاخر مخلوق مغاير : كل شيء فيه يشبهنا في كل شيء فينا ماخلا ناحية واحدة يشتط علينا ـ لكنها ناحية تمكنه من أن يتجاوب مع عالمه سلبا أو أيجابا بحيث لاتكون المحصلة صفرا • وبما أن معظمنا ، بعد أن أنهكه الصراع مع الواقع ، يرى محصلة حياته صفرا ، فان البطل يفوقه ••• ويعديه ويستعديه ، يستعديه على الواقع المجسد في أسرة ومجتمع ومؤسسات وقوانين تكبح الفرد وتعطل طاقاته أو تعيقها • الادب يقدم لنا قدوات تحررت من الكوابح الداخلية وتغلبت أو صارعت العوائق الخارجية، ويقدم الينا عالما يتغير تحت وطأة صراع البطل ـ القدوة

ولما كانت الاحداث تتوالى مضغوطة في الادب فان تواليها يزيد من تأثيرها : ما يحدث في عشرات السنين يقدم في مئات الصفحات ونلتهمه في ساعات قلائل فيضاعف ذلك من عوامل تحريضنا• بهذا المعنى كل اديب متهم وكل نص ادبي وثيقة ادانة•وكل مسؤول يستطيع ان يتهم اي اديب ولن يجانبه الصواب : فكلما كان الاديب اديبا حقا ، جاء انتاجه أكثر تحريضا لان العالم الذي يقدمه أعمق خلافا وتغايرا مع عالمنا •

ولكي نلمس عمق المشكلة نعود القهقري الفين وخمسمائة من الاعوام ، فنسمع ارسطو يقول ان الشعر يمثل الناس مما هم عليه أو كما هم عليه ، أي كما يجب أن جملته الاخيرة فيفسرها : كما هم عليه ، أي كما يجب ان يكونوا • لان المثل النموذجي يجب ان يتجاوز الواقع • ولما كان افلاطون سياسيا اكثر من ارسطو ، فانه اتخذ من تفسير ارسطو الصحيح لمهمة الشعر عذرا استند اليه ليطرد الشعراء من مدينته الفاضلة •

وقد سألت ذات يوم أحد السياسيين العرب ، أداعبه:

ـ هل تعتقد ان الادب ـ يشتغل ـ بالسياسة ؟

فأجاب جادا :

ـ اعتقد أن السياسة ـ تشتغل بالادب ـ

وتذكرت للتو حوار ارسطو وافلاطون : ارسطو يعتقد ان الادب يشتغل بالسياسة ، وافلاطون يؤمن ان السياسة تشتغل بالادب • ولكن مالنا نبتعد كثيرا ، ولدينا تمثيلية من تأليف الكاتب المسرحي على عقلة عرسان • وفيها نجد علاجا شافيا لمشكلة الاديب السلطة • عنوان المسرحية وموضوعها ـ رضى قيصر ـ • أديب مسرحي ينسى فنه ويلتمس مرضاة قيصر فلا يعود الفن فنا ولا السياسة سياسة • ذلك أن الادب عالم مغاير لعالم الواقع ، كما اسلفنا • وكل اديب يريد أن يتزلف يسعى الى أن يطابق فنه مع الواقع كما يسعى الى ازالة الفجوة بين المثال والواقع ، لكنه يسقط في تلك الفجوة بالذات ينتج فنا سخيفا لا يليق بمقام قيصر ، قال احدهم لمعاوية :

ـ اذا أرضينا الله اغضبناكم وان ارضيناكم أغضبنا الله ـ

وهذا بالضبط حال الكاتب بلاوتوس في مسرحية على عقلة اذا ارضى قيصرا اغضب الفن ، واذا ارضى الفن اغضب قيصر • وأخشى ما اخشى ان يكون على عقله قد ارضى

الفن كل الارضاء ، فالمسرحية بناء متماسك من احداث مسلسلة تنيرها بصيرة وضاءة مثقفة تعرف دورها في المجتمع ، بل اكثر من ذلك : تعرف ان ـ تضع الاخرين ـ عند حدهم ايضا ٠ ولكن ما دامت السلطة طول الدهر هي السلطة فكيف استمر الادب في الوجود ؟ بالتأكيد أن ذلك لا يرجع الى شجاعة الادباء وصلابتهم وحدها ٠ وانما يرجع ايضا ان ضعفهم : فالاديب انسان أعزل كالطفل ، ومع ذلك يجبه السلطة والمتسلطين بما لاتحب، ويسلم ـ يسلم ادبه على الاقل يسلم عالمه المقترح ٠ العالم الافضل ، والنموذج الامثل ، والتحريض والتنبيه كل ذلك ينجو من البطش ، لان الادب حين يحتج على عالم واحد ظالم ٠ لكنه حين يقترح : يقترح الافا من العوالم البهيجة والممكنة ، فلا يكتفي بأن يفتح بصيرة الناس على احتمالات اجمل ، وانما يعلمهم ان يتقبلوا مختلف الآراء يعلمهم التسامح مع ما يكرهون حينا ، والسكوت على ما يغضبهم حينا اخر ، وهم في الحالين اعجز من ان ينالوا اديبا حرا بسوء ٠

ومع ذلك فاذا كان الادب عالما مغايرا للعالم القائم يخترعه من أحلامه وثقافته وتطلعاته وتطلعات شعبه ، فان لكل أديب : شاعرا أو قصاصا أو روائيا عالمه الذي يخترعه من أحلامه وثقافته وتطلعاته وتطلعات شعبه ثم يؤديه أداء فرديا يختلف كل الاختلاف عن أداء أي اديب اخر ٠ وعلم النقد الادبي مختص حصرا بالكشف عن هذه التفاوتات بين انتاج اديب واخر ، بل بين مرحلة وأخرى في حياة الاديب وانتاجه ، وتمييز خصائص كل مرحلة وربطها بخصائص المراحل السابقة عليها والتالية لها ، ليصار الى تميز شخصية الاديب عن أقرانه في المجتمع الواحد وفي المرحلة التاريخية الواحدة ٠ يبدأ الناقد بالتعامل مع النص فيشرحه ويكثف مضمونه ثم يكشف بناءه ويتوغل في الاسلوب ليتوصل الى عزل البنيات المكونة للبناء العام وتبين ارتباطها بجزئيات المضمون ٠

هذه العملية ألغيت تماما ، الغاها ظهور المنظورين ، وهؤلاء جماعة من عوام المثقفين قد يكونون مسلحين بنظرية سياسية او برؤية سياسية في افضل الاحوال ـ لكنهم ، وفي أفضل الاحوال أيضا خالون من أية تجربة أدبية أو رؤيا أدبية أو منهج نقدي ، انهم لا يتعاملون مع النص في مراياه ولامع الكاتب في قراءته ، بل يسعون ما وسعهم الجهد الى التعامي عن المزايا الادبية لانهم يكتبون عن نصوص لم يقرؤوها ٠ كذلك فانهم يبذلون أقصى ما في طاقتهم لمحو شخصية الكاتب وابطال تفردها من خلال حاجتهم الى توحيد الادباء في مجموعات طبقية ٠ وهكذا نرى كل منظر يقطع رؤوس مجموعة من الادباء ليحنط جثثهم في سلة الاصول الطبيقية بلا تميز ٠٠٠

اليكم مثالا على هذه المحاولات التعسفية :

وبعد طرح بعض الامثلة يستطرد الدارس قائلا :

اذا سلمنا مع هؤلاء المؤلفين بأن ما يكتبونه ليس نقدا ولا يغنى عن النقد الادبي في شيء حق لنا أن نطرح على الاقل سؤالين: الاول ،لماذا اذن يحاكم الاديب وانتاجه بحسب الاسس والمبادىء التي تطرحا هذه المؤلفات؟ وثاني السؤالين ، اذا كان معظم ما ينشر في وسائل الاعلام من تقويم للمؤلفات الادبية يعتمد على هذا النهج لا يعد نقدا ، فلماذا تدان كل محاولة في النقد الادبي الاصولي ، أي كل محاولة تعتمد على فرز البيانات الاسلوبية وتبين طريقة المؤلف في تشكيل بناء متكامل منها ؟ واذا كان وجود هذه التنظيرات مبررا في القائها بعض الضوء الاجتماعي على الحركات الادبية ، فما مسوغ انتشار هذا النوع من الكتابة والترخيص له باعتباره بديلا عن النقد ؟ المشكلة كل المشكلة هي في أن هذا النوع من الكتابة يقتصر في معالجة الاثر الادبي على مضمونه ، وربط هذا المضمون بالحركة الاجتماعية ربطا مباشرا ، على أساس أن الادب ـ يعكس الواقع مثلما تعكس المرآة صورة الشيء ـ ومن ضمن هذا الواقع يأتي سبيل الافكار والمعتقدات التي تتحكم في الحياة وتوجهها لكن الصلة بين الادب والافكار متضاربة ٠ وهؤلاء المنظرون يسيئون فهم الادب حين يعاملونه على أنه شكل من الفلسفة ، على أنه ـ افكار ـ يلفها الشكل ، فيجب اسقاط الشكل لاستخلاص الافكار الرئيسية من مضمون العمل الادبي و ـ ملاحقة الايديولوجيا التي يبثها الاديب ، أو التي ينطلق منها في بث ما لديه ـ٠

ان ارجاع العمل الفني الى بيان مذهبي يسيء ابلغ الاساءة الى تفهم وحدة العمل : انه يفكك بنيته ويفرض عليه معيارا للقيمة غريبا عنه ٠ صحيح ان تاريخ الادب يوازي ويعكس تاريخ الفكر ، صحيح أيضا ان بالامكان معالجة الادب كوثيقة في تاريخ الفلسفة والافكار ، صحيح

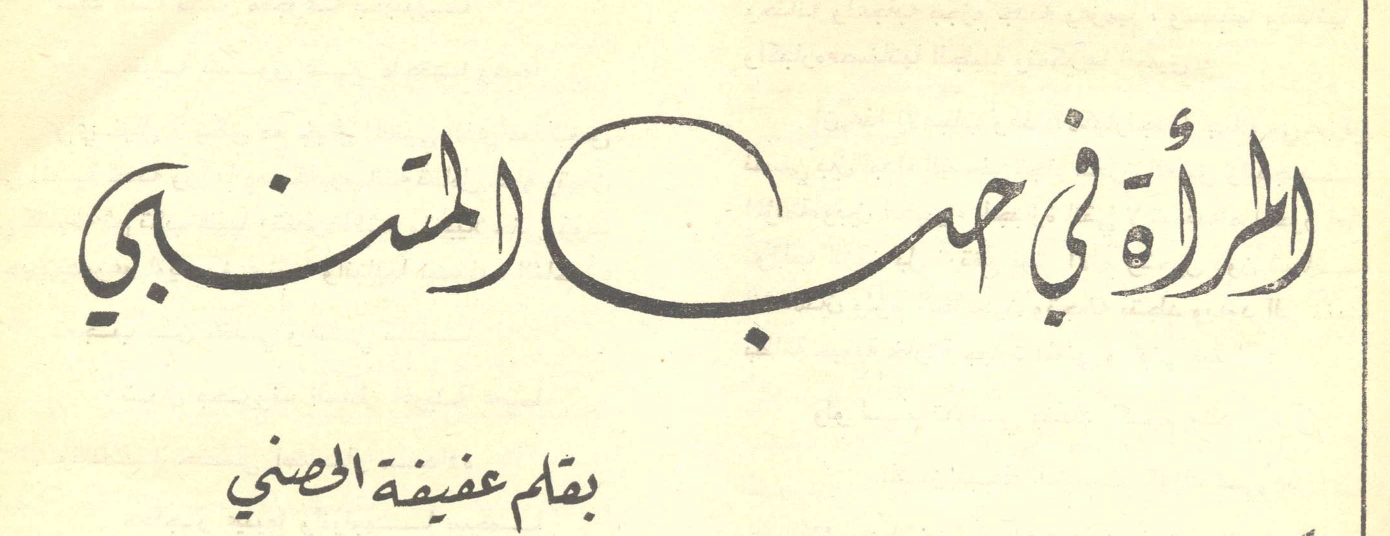
ثالثا أن الناس يتأثرون في تبنيهم للافكار بقابليتهم للشعور بمختلف أنواع الاشجان السياسية والعاطفية والميتافيزيقية ـ كل هذا صحيح ، غير أن المعايير التي تجعل قيمة الادب وقفا على الفلسفة التي ينتمي اليها انما تقوم على سوء فهم المفكرين للطريقة التي تدخل بها الافكار الى الادب ، وعلى اختلاط وظيفتي الفلسفة والفن في نظرهم ، فهناك مشكلات تعود الى تاريخ الادراك والوجدان اكثر مما تعود الى تاريخ الفكر ۰ وغالبا ما يتداخل في الاثر الادبي العنصر الايديولوجي بالعنصر الانفعالي وبالثقافات الوافدة والاعراف الادبية المرعية ۰ وفي الواقع يجب الفصل بين الفكرة والتجربة والتعبير الادبي فالفكرة مدرك مجرد شامل ، والتجربة الفردية محدودة بالتاريخ والذات حتى عندما يعبر عنها أديب ، وظيفة النقد أن يحول التجربة الحياتية التعبيرية الى تجربة أدبية بأن يصفها ويستخلص منها قواعدها وأساليبها ۰

هذا الشك في التكامل الوثيق بين الفلسفة والادب لا ينكر طبعا وجود صلات متعددة بل حتى انه يرجح توازيا معينا تقويه خلفية اجتماعية مشتركة في زمن ما ـ على فرض تشابه الاصول الطبقية بين المفكرين والادباء في الفترة المعطاة ۰ غير أن المسألة التي تهمنا هي مسألة كيفية دخول الافكار في الادب أو ادخالها ۰ ومن الواضح أن تلك المسألة تختلف تمام الاختلاف عن مسألة وجود افكار معينة في عمل ادبي ۰ فالمسألة الاولى نقدية ، المسألة الثانية ايديولوجية ، لان الافكار تظل مجرد مادة خام ، مجرد معلومات اذا لم تحدث المطابقة بين الفكر والفن ، فان حدثت المطابقة أمست الصورة مفهوما والمفهوم صورة ، أي أن الافكار المنشورة لا تصبح أدبا الا اذا تغلغلت تغلغلا عمليا في نسيج الاثر الادبي فغدت بنيات تكوينية ـ وبالاختصار ، عندما تكف أن تكون أفكارا بالمعنى المألوف للمفهومات وتصبح رموزا أو حتى نوعا من الخرافة ، لان الايديولوجيا الفائضة عن العمل الفني تحبطه ، ولان الايديولوجيا الفائضة عن النقد الادبي تربكه او تخرجه عن طبيعته ، كما رأينا فلا يعود نقدا بل يغدو سرير بروكوست ـ على الرغم من صحة الفرضية القائلة بأن الطبقات الاجتماعية اما أن تخلعه او تتطلب نمطا معينا من الفن واشكال التعبير الادبي ، كما أن القيم الاجتماعية التي تتغير مع كل ثورة اجتماعية تؤدي دائما الى تغيير القيم الجمالية ، غير أن هذا لا يسوغ الغاء النقد الادبي الذي يعالج النصوص معالجة مباشرة وأن اعترض مكابر بأن أحدا لم يدع الى الغاء النقد الادبي احلناه على واقع الحياة الادبية في كل ما ينشر حيث يكتفي الكهول والشبان بتلخيص المضمون ومحاكمته بحسب معتقد المراجع ۰ وقد الحقت هذه الطريقة بالادب ضررا فادحا سوف نبين بعض ملامحه فيما يلي،بعد أن استنفدنا معالجة أعراض النقد الواقعي التنظيري وأمراضه ۰

وبعد أن يستعرض الكاتب ملامح هذا الضرر ، يختم دراسته كما يلي :

ويطول الحديث جدا اذا اردنا أن نذكر الناقد ومريديه والادباء الخاضعين للواقعية اليومية خضوعا أعمى ـ نذكرهم بأن الادب لم يكن واقعيا ولا واقعا في يوم من الايام ،التخييل تخييل والواقع واقع ، يربط بينهما فهم الاديب العربي استورد الشكل الرمزي وجبن امام الارهاب ـ الواقعي ـ عن خلق رمز ، واستورد الشكل الاسطوري وأعقده مفهوم الواقعية اليومية عن ابتكار عالم اسطوري ، واستورد الشكل السينمائي لكنه أخفق في ايحاء أبطال يقومون بالادوار الواقعية : القطيعة ليست بين الاديب والواقع ولا بين الادب والواقع القطيعة قائمة فعلا بين الشكل والمضمون لان بدعة النقد السائد ستكتفي بتلخيص مضمون الرواية لدمغها بخاتم التقدمية او الرجعية دون النظر الى اهليتها الادبية ۰ ان المنظر يحس احساسا صحيحا بوجود خلل لكنه لا يسمح لعقله بحرية البحث عن الخلل ، لان الافتراض المسبق دائما هو أنه اذا احدث خلل فانما يكون في المضمون ۰ هذه المرة فتشوا أيها المنظرون ـ في الخلل تجدوه في انعدام الشكل او في سوء استعماله او في انعدام المبالاة به عند نقاد نافذي الكلمة من امثالكم ، أو عند نقاد اقل بصرا واكثر ارهابا بين مريديكم وشيعتكم ، امنحوا للخيال العربي حرية الانطلاق ، اسمحوا له بأن يقوم بوظيفته في الحياة الادبية ، طالبوه بأن يغادر الواقع طلبا لمثل اعلى او عالم اخر فوق الواقع تجدوا ان السمو والحلم الكبير هما اللذان يخلقان ادب الواقع ۰

دمشق : محي الدين صبحي



(ان من يحب باعتبار عقلي أرقى كثيرا ممن يحب باعتبار مادي وان كان المحبوب واحدا) ٠

بهذا المعنى عبر ابن سينا عن رأيه في الحب ٠

فأين نجد المرأة في حب المتنبي من هذا الرأي ٠

هل أحبها باعتبار عقلي أم باعتبار مادي ؟

اذا ألقينا أشعة هذا الرأي على شعر المتنبي في المرأة فأين نجد فيه انسان التقدير ؟

من المرأة التي فازت باعجاب المتنبي وتربعت على عرش قلبه ؟ ٠

من المرأة التي حلق با المتنبي الى أجواء فنه الخالد وأفقه اللانهائي ومنحها أعمق الحب والاجلال ؟

ان ديوان المتنبي يطالعنا بنظرتين للمرأة في شعره :

الاولى نظرة الاعجاب والتقدير والحب الصادق العميق نلمسها في رثائه لجدته ورثائه لخولة أخت سيف الدولة ، وفي تغزله بالاعرابيات ، وفي بعض مقطوعاته الغزلية التي تفيض شعورا حيا وحبا صادقا خفيا قد يكون لحبيبة مستورة ٠

أما النظرة الثانية فنجدها في نتف من شعره التقليدي لايعبر فيها عن الشعور الصادق ، وفي نبذ من الشعر الذي يزدري فيه الغدر والانحراف ٠

ان المتنبي انسان طموح ومن البديهي أن يحب المرأة التي غذت فيه الطموح وهيأت له الجو الذي يرضي عظمته : بارساله الى مدارس الاشراف ، وسلحته بسلاح لا يهزم : سلاح العزيمة الصادقة والاعتماد على النفس وشجاعة الفؤاد وكبرياء الاباء ٠

وقد تفجر ينبوع هذا الاجلال وهذا التقدير وهذه المحبة لجدته حين فجأها الموت وهي في قمة الفرح والامل بلقائه ، فأبدع هذا الانفجار قصيدة عصماء تربعت على قمة من القمم التي حلق فيها المتنبي بفنه الحياتي الرائع وخلد بها جدته التي كانت تملأ قلبه حبا وعقله تقديرا واحتراما،فجاءت القصيدة آية في الروعة والابداع وصورة حية لحزن عميق صادر عن حبات القلب ليهز أوتار كل قلب ٠

فأي قلب لا تهتز أوتاره حين يردد قول المتنبي :

أتاها كتابي بعد يأس وترحة

فماتت سرورا بي فمت بها هما

لـك اللـه مـن مفجوعـة بحبيبهـا

قتيلـة شـوق غـير ملحقهـا وصما

وأي خيال لا يحلق مع خيال المتنبي الذي نفذ بعمق الى نفسية جدته ورآها ممسكةبرسالته تتأمل خطه وتمعن في كتابته ثم تكب عليها وتمطرها لثما وتقبيلا حتى يذوب الحبر بدموعه اويصبغ عينيها وأنيابها بسواده الفاحم :

تعجب مـن خطـي ولفظـي كأنهـا

تـرى بحـروف السطر أغربـة عصما

وتلثمـه حتـى أصـار مـداده

محاجـر عينيها وأنيابهـا سحمـا

وأي فن لا يتناغم مع هذه الموسيقا الحزينة التي تنساب من خلال كلماته وانسجامها ؟ وينفذ احساس المتنبي الى أعماقنا ونحن نراه يهوي أمامنا بكبريائه وشموخه وترفعه ، عاشقا للتراب الذي ضم جدته ، متهلفا على الموت الذي شربت بكأسه ، منصهرا باللهب الذي يحرق فؤاده فيحرم على نفسه السرور لان جدتهماتت سرورا بأمل لقائه ، ويهيم على وجهه وقد ضاقت الدنيا في نظره لان الطرف الذي لايرى به جدته أصبح كالأعمى لايرى شيئا .

وقد صور هذه الخلجات النفسية بمداد قلبه وعمق فكره وروعة خياله وموسيقا ألفاظه حين قال :

أحـن الى الكأس التـي شربت بها

وأهـوى لمثـواها التـراب وماضمـا

حـرام علـى قلبـي السرور فانـنـي

أعـد الـذي ماتت بـه بعدهـا سمـا

وما انسدت الدنيـا علـي لضيقهـا

ولكـن طرفـا لا أراك بـه أعمـى

فوا أسـفا ألا أكـب مقبـلا

لرأسك والصـدر الذي ملئـا حزمـا

ولم يكن المتنبي ليبدي هذه اللوعة لولا أنها فاضت رغم كبريائه وشموخه لتسجل علـى سفر الخلود حبه وحنانه واعجابه بجزم جدته وعزمها ، وفطنتها وذكائها ، واكباره لصفاتها الجليلة وتفكيرها العميق .

ان هذا الاعجاب وهذا الاكبارلجدته جعلاه في صراع نفسي بين ابداء الضعف تجاه الحزن العميق والفجيعة المؤلمة،وبين الكبرياء الجبارة التي لا تستسلم للخور أمام نوائب الزمن بل ترتفع فوق الالم وتحول دون شماتة الشامتين ولؤم الحاسدين وتجعله يتجلد ويعود الى نفسه بطاقة حيوية خارقة جبارة المعنى والمبنى فيقول :

ولو لـم تكونـي بنـت أكـرم والد

لكـان أبـاك الضخـم كونك لـي أما

لئـن لـذ يـوم الشامتـين بموتهـا

فقـد ولـدت منـي لآنافـهم رغمـا

وبعد ذلك نراه كأنه يريد أن يعتذر اليها عن سفره وبعده عنها هذا البعدالذي أشقاها ونكد حياتهاوكان سببا في القضاء عليهـا .

فيقول ولهيب الالم يندلع من خلال كلماته :

طلبـت لهـا حظـا ففاتت وفاتنـي

وقد رضيـت بـي لو رضيت لها قسما

فأصبحت أستسقـي الغمام لقبرهـا

وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما

يقولون لـي ما أنت في كل بلـدة

وما تبتغـي ما ابتغي جـل أن يسمى

واني لمـن قـوم كـأن نفوسنـا

بهـا أنف أن تسكن اللحم والعظما

فا عبـرت بـي ساعـة لا تعزنـي

ولا صحبتني مهجـة تقبـل الظلمـا

فهو لم يبعد عنها الا ليعود اليها بنصيب وافر من الحظ والسعادة وان كانت راضية بالقليل بجواره ، ولكن نفسه الكبيرة لا ترضى لها الا بحياة رفيعة عزيزة ،ولو كان دونها اقتحام الحرب والجهاد بالسلاح ، كذلك نأى

عنها لان عظمته التي غذتها بروح الطموح ابت أن تذل أو تذعن للضيم والهوان فنفسه كما تعهدها جدته وتريدها ما زالت شامخة متعالية ، محلقة في أجواء المعالي وسماء الكبرياء ، ويكفيها فخرا أن يكون صاحب هذه النفس حفيدها لتتباهى بأرفع النسب وأعظم الحسب ٠

فالمتنبي كما رأينا ، يعطينا في هذه القصيدة صورة صادقة عن المرأة العظيمة الفاضلة التي تقدرها كبرياؤه . والتي تملأ قلبه حبا واعجابا ٠

ولم يكن تقدير المتنبي لمثل هذه الصفات قاصرا على جدته ، وانما نراه جليا أيضا في رثائه لخولة أخت سيف الدولة الحمداني الكبرى ٠ حتى أن كثيرا من النقاد ومنهم د ٠طه حسين والاستاذ محمود شاكر والاستاذ رضوان شهال ، يرون أن أبا الطيب كان يضمر حبا عميقا لخولة التي كانت تلقب بست الناس ٠٠

يقول طه حسين في كتابه مع المتنبي ص ٣٩٢ : (أجمل ماقال المتنبي من الرثاء لسيف الدولة هي القصيدة التي رثى بها أخته خوله ومصدر ذلك ماتصوره هذه القصيدة من الحب الذي أمتحنه الدهر به فثبت للامتحان) ٠

ويقول الاستاذ رضوان شهال في كتابه (الشعر والفن والجمال) ص ٦٣ :

(يذهب الاستاذ محمود شاكر الى أن أبا الطيب كان يضمر حبا عميقا لخولة ست الناس – شقيقة الامير سيف الدولة الكبرى ، وهو يستنتج هذا الحب من شعر أبي الطيب نفسه وان الشواهد التي يقدمها من هذا الشعر لتحمل المرء على مشاطرته رأيه هذا وخصوصا قصيدته التي رثى بها خولة وقد توفيت عام ٣٥٢ هـ وثلاثة أبيات من قصيدة سابقة رثى بها شقيقتها الصغرى وقد توفيت عام ٣٤٢ هـ وفيها يقول مخاطبا سيف الدولة :

قاسمتك المنون شخصين جورا

جعل القسم نفسه فيك عدلا

فاذا قست ما أخذت بما أغدرن

سرى عن الفؤاد وسلى

وتيقنت أن حظك اوفى

وتبينت ان جدك أعلى

والارجح أن هذه الابيات كانت موجهة بصورة غير مباشرة الى خولة ذاتها ، وكأني بالشاعر قد أبى يومئذ وقد سنحت المناسبة الا أن يعلن لست الناس أو يؤكد لها ما يكنه قلبه لها من اعزاز ٠ فاذا انتقلنا الى القصيدة التي رثى بها فيما بعد ست الناس هذه لمسنا الحزن العميق الموجع الذي لاريب في صدقه ٠٠ ومن طبع هذا الحزن أن يلقي ضوءا ساطعا على تلك المكانة التي كانت تحتلها ست الناس في قلب المتنبي ٠ فحقيقة الشعور الذي كان يكنه لها ما هو مجرد الاحترام بل هو الحب وليس بالامر العجيب على كل حال أن يكون أبو الطيب وهو في ذروة عزه ومجده الادبي قد أحب أخت الامير الحمداني تلك التي كانت مراعية لحرية المجد والقصاد والادب كما قال الشاعر فيما بعد ، وكان له أن يقول فيها :

ولا ذكرت جميلا من صنائعها

الا بكيت ولاود بلا سبب

حتى اذا جاءه خبرها بعد أن طوى الجزيرة فزع بآماله الى الكذب ثم شرق بالدمع حتى كاد يشرق به ، حين تحقق صدق الخبر ، وقضى ليله الفاجع الحزين ساهدا ٠٠٠ وما كان أعظم صدقه اذ قال يومئذ : (أرى العراق طويل الليل مذ نعيت ٠٠٠) ولست لا صدق أن هذه الحالات التي عبر فيها الشاعر بصدق وعفوية قد أحدثها في نفسه موت شخص يكن له الشاعر مجرد الاحترام والاكرام ٠ بل هو الحب العميق الصامت مرة أخرى وأخيرة) ٠

الى هنا ينتهي كلام الاستاذ محمود شاكر الذي نقله عنه الاستاذ رضوان شهال في كتابه (الشعر والفن والجمال) واني أضيف صوتي الى هذا الرأي لان حرارة العاطفة واتقادها في رثائه لخولة تدلان على حب صادق يشع اعجابا وتقديرا للصفات العظيمة التي لا ينحني المتنبي الا لها حتى أنه على كبريائه وتجلده لم يستطع أن يخفي حزنه ولوعته ٠ وقد عبر عن ذلك بأجمل وأروع تصوير للحزن والجزع ولاسيما في قوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر

فزعت منه بآمالي الى الكذب

هذا البيت الذي استعاره ـ لشدة تأثيره العميق ـ أكثر من أربعين شاعرا جعلوه مطلعا لقصائدهم في رثاء ست الناس .

لقد بكى المتنبي في هذه القصيدة الصفات المثلى التي كان يهيم بها ، والتي كانت خولة تتحلى بها من شجاعة وتذوق للادب واهتمام منذ صغرها بالمعالي والامور الجليلة بينما كان هم اترابها اللهو واللعب .

وليس عجيبا أن يهتم المتنبي بهذه الصفات وأن يحب ست الناس التي كانت تجسدها انه حب الذات العليا في جرم الانسان الصغير ، الذات التي لايدركها الا من كان على جانب عظيم من الشفافية الروحية والسمو الانساني . وهذ اما عرف في حقيقة المتنبي الذي لم تنظر كبرياؤه الا الى العلاء ولم تعجب بما دون السماء .

وفي رأيي أن كبرياء المتنبي هي السبب في اقلاله من الغزل الرخيص وارتياحه لمزج الغزل العفيف بالفروسية التي يجد فيها ارضاء لطموحه وشموخه . هذا بالاضافة الى طبيعته التي تسيل الى التعفف وترغب عن الملاهي والقيان والمجون والابتذال .

ولقد روي على لسان المتنبي قوله (1) : ـ انني رجل جاف الطبع ، شائك الملمس يا ابن يوسف ، لم تترك لي آمالي الضخام في قلبي مكانا للحب ولاموضعا للصبابة ، ولم تهف نفسي الى عبث الشباب ومجون الشباب .ولقد استقر في نفسي أني سهم صوبه الله الى غرض هو المجد فيجب الا يحيد عن المجد ، وصارم بتار لم يعرف في يوم من الأيام الا أن يسل من غمده ثم يعود الى غمده . ما استهواني يوما جمال ولا اجتذبني دلال ولا فهمت معنى للحب الا فيما يقول الشعراء ، وأنت أعلم بأكاذيب الشعراء ولكنني أحسست نحو عائشة بميل عنيف كفكفت من غربة وسخرت منه أول الامر ولكنه عاودني أعنف مما كان وأشد حين التقى بميلها واتصل حبله بحبلها . ولقد كان حبا عذريا طاهرا منزها عن دنس الدنيا ، بريئا من وصمة الشهوات ، ساميا فوق الحياة ومآرب الحياة .

ان هذا الكلام لا يستبعد أن يكون صادرا حقا عن المتنبي فهو يتناغم مع قوله :

وعزلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت فكيف يموت من لا يعشق

وعذرتهم وعرفت ذنبي انني
عيرتهم فلقيت منه مالقوا

وقوله :

وما كل من يهوي يعف اذا خلا
عفافي ويرضي الحب والخيل تلتقي

فالمتنبي وان كان مولعا بالمجد والعز والسيف والحرب والقرطاس والقلم يحمل في أعماقه قلب شاعر مرهف الاحساس رقيق المشاعر ، ولكنه الذي يحبس ماء عذبا فراتا يختزنه في داخله حتى اذا مسته هزة عنيفة تفجر ماء زلالا متدفقا نلمسه في غزله الصادق الذي يفجره الاعجاب والتقدير كقوله :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي
وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر ، فهو الدهر يرجو ويتقي

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق

فأي عمق تدفقت منه هذه العاطفة الجياشة ، ومن أي نبع تصاعد هذا الحب المتفاني في احساس لا نهائي يستعذب العذاب في الحب والشك في الوصل والهجر ؟ . انه نبع التقدير والاعجاب والطهر والعفاف . انه على عكس الحب الرخيص الذي يثيره النبع ويتهافت على الوصل الرخيص .

لقد ترفع أبو الطيب في حبه وذوقه . ومن أجمل ما قاله في الغزل النقي العفيف شعره بالبدويات حتى أن بعض النقاد ومنهم د . شوقي ضيف جعل هذا الغزل من الاسباب التي خلدت المتنبي حين تحدث عنه في كتابه (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) وليس غريبا أن يعجب المتنبي بالبدويات ويأنس بهن فقد عاش في صباه بينهن

وتفتقت عاطفته على حسنهن المطبوع وراقه فيهن الجمال الصادق والعفة والطهارة وعدم التكلف ولهذا فضلهن على المدنيات في قوله :

من الجآذر في زي الاعاريب
حمر الحلى والمطايا والجلابيب

ان كنت تسأل شكا عن معارفها
فمن بلاك بتسهيد وتعذيب

ما أوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

أين المعيز من الارام ناظرة
وغير ناظرة في الحسن والطيب

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ومن هوى كل من ليست مموهة
تركت لون مشيبي غير مخضوب

وسواء أراد بهذا الكلام غزلا بالبدويات، أم تعريفا بكافور فاننا نرى فيه صفحة منيرة من نفس المتنبي المتعالية التي لايهزها الا الجمال المقترن بسمو الفضيلة والصدق . انه يحب جمال البدويات الطبيعي ويكره جمال المدنيات المجلوب بالصنعة والصيغة والتطرية .

والمتنبي حين يبالغفي تمييزاللواتي شبههن بالغزلان النظيفة ، من المدنيات اللواتي شبههن بالمعيز ، انما يعكس حقيقة نفسه التواقة الى النظافة ظاهرا وباطنا . كذلك يرينا حقيقة نفسه الهائمة بالصدق حين يعزف عن صبغ شعره أسوة بالبدويات اللواتي يبدون بجمالهن الطبيعي دون صبغة أو تمويه .

فأخلاق المتنبي العربية الاصيلة التي تتجلى في تفسيره للعفة والشرف والطهر والصراحة جعلته يشغف هذا الشغف بالبدويات فانعكست عاطفته المشبوبة على تغزله بهن كما رأينا في الابيات السابقة وكما نرى في الابيات التالية :

ان التي سفكت دمي بجفونها
لم تدر أن دمي الذي تتقلد

قالت وقد رأت اصفراري ما به ؟
وتنهدت فأجبتها المتنهد

عدوية بدوية من دونها
سلب النفوس ونار حرب توقد

وهواجل وصواهل ومناصل
وذوابل وتوعد وتهدد

ولعل مصدر العاطفة التي نلمسها في هذه الابيات ولع المتنبي بالبادية وعاداتها العربية الاصيلة فالبدوية تحضن حبها خجلا وعفافا ولكن المتنبي أدرك هذا الحب بعيونها ولمس لوعتها بتنهدها وهام بها .ولكن العادات البدوية حالت دون الوصول اليها فالقبيلة تحميها بخيلها وسلاحها وابعادها وتثير حربا ضروسا على من يشبب بها أو يمس سمعتها.

هذه الحيلولة دون المرأة المحبوبة تجعل العاطفة أكثر اتقادا وتألقا ولا سيما في نفس كنفس المتنبي تواقة الى المسالك الصعبةوالدروب الوعرة .

وليس عجيبا أن تستهوي المتنبي الاخلاق البدوية وهو الذي عاش في البادية فترة من صباه ونهل من معينها فتوثقت الصلة بينه وبينها وكونت في طبعه قوة وخشونة تميلان به الى كل قوى وحصين ، كما كونت فيه قدرة على الصبر تحفزه الى الانطلاق من عالم الحس الى عالم الطموح والمعالي وتقدير العزة والمناعة .

ولو قارنا بين شعر المتنبي في المرأة التي أحبها باعجاب وتقدير ،وشعره في المرأة التي نظم فيها غزلا تقليديا ، لوجدنا الفرق شاسعا من حيث الصدق وحرارة العاطفة وسمو التعبير في الاولى ، والتكلف والتصنع والمبالغة وفتور العاطفة في الثانية . فغزله التقليديلايمس قلبه في قليل أو كثير وانما اصطنعه لاحياء سنة العرب في شعرهم وهو الوفي لعروبته والمقيم في ظل دولة بني حمدان العربية وكان معظم حساده من العلماء والشعراء

يودون ان يحيد قيد شعرة عن عمود الشعر المأثور ليهجموا عليه بالنقد والتجريح ويأخذوه بالزراية والتقبيح • وقد أبدى اهتمامه بهذا التقليد حين قال :

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بهـــا
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
كئيبا توقاني العواذل في الهـوى
كما يتوقـى ريض الخيل حازمـه

فهو يفرض على نفسه الوقوف على الاطلال فرضا ولكنه عنيد شموس لا تتجرأ النسوة عزله • وشتان بين هذا الوقوف المصطنع ، ووقوف الشاعر الجاهلي بعواطفه المتدفقة وحنينه الصادق •

كذلك نرى في غزله التقليدي المبالغة والصنعـة البديعية حين يستعصي عليه التعبير العاطفي كقوله :

أبلـى الهـوى اسفا يوم النوى بدني
وفرق الهجر بـين الجفن والوسـن
روح تـردد في مثـل الخـلال اذا
أطارت الريـح عنـه الثـوب لـم يبن
كفـى بجسمـي نحـولا أننـي رجـل
لـولا مخاطبتي اياك لـم ترنـي

كما نراه يلجأ في هذاالتقليدالى التصوير الحسي ممزوجا أيضا بالمبالغة والصنعة كقوله :

ولـما التقينـا والنـوى ورقيبنـا
غفـولان عنـا ظلـت أبكـي وتبسـم
فلـم أر بـدرا ضاحكـا قبـل وجههـا
ولـم تـر قبلـي ميتـا يتكلـم
ظلوم كمتنيهـا لصـب كخصرهـا
ضعيف القـوى من فعلهـا يتظلـم
بفـرع يعيـد الليـل والصبـح نير
ووجـه يعيد الصبـح والليل مظلم

وواضح أن هذه الابيات لا تضم في جوانحها أية عاطفة وانما لجأ الشاعر الى الصنعة البديعية والـى المبالغـة الممجوجة لان العاطفة استعصت عليه في الغزل التقليدي • والصور البيانية في هذه الابيات لانجد فيها جديدا سوى قوله : انها تظلمه كما يظلم ردفاها الثقيلان خصرها وهذه الصورة وان كانت مبتكرة ليس فيها ذوق ، أما سائر الصور فمكرورة وقد مل سمعنا تشبيه الشعر بالليل والوجه بالبدر وبالصبح ،وقد يعطينا المتنبي في غزله التقليدي قوانين في الحب كقوله :

جهـد الصبابـة ان تكون كمـا أرى
عـين مسهـدة وقلـب يخفـق

وقد يوغل في التفلسف فيختلق الاعذار للنوى ويجعل منها شخصا عاشقا لحبيبته فيقول :

ملامـي النـوى فيظلمها غاية الظلم
لعل بهـا مثل الذي بي من السهـد

وفي كل هذه الاحوال يتجلى لنا غزله التقليـدي مضحكا ممجوجا لانه خال من العاطفة والحب الصادق •

نستنتج من كل ما تقدم أن المتنبي كان اهتمامـه منصرفا الى المجد والعلا والبطولة والفروسية لم تفجر عاطفة الحب فيه الا المرأة التي ارتقت بذاتها الى الافاق العليا وحلقت في أجوائه•

لقد حلق المتنبي في ذوقه كما حلق في طموحه ، فأحب المرأة كريمة نبيلة ،شريفة مترفعة عن الابتذال ، وأكبرها شجاعة معطاء ، وصادقة فاضلة ، ومربية جليلة •

أنه العربي الاصيل الذي تستهويه العفة والطهارة ، ويعتز بالشجاعة ويكبر المروءة والعقل ، فلم تحرك أوتار قلبه الا عظمة الانسان سواء في المرأة أم في الرجل ولم يمنح حبه الا لالحان الينبوع الانساني المعبأة بالطاقات المفعمة قوة وحيوية وذوقا وجمالا •

دمشق : عفيفة الحصني

مراجـع البحث :

١ ـ مع المتنبي : د طه حسين •
٢ ـ أدباء العرب في العصر العباسي : بطرس البستاني •
٣ ـ خاتمة المطاف :علي الجارم •
٤ ـ ابو الطيب المتنبي : د • س بلاشير ترجمة د • ابراهيم كيلاني •
٥ ـ الشعر والفن والجمال : رضوان شهال •
٦ ـ وابغ الفكر العربي ـ المتنبي : د • زكي المحاسني •
٧ ـ المتنبي وشوقي : عباس حسن •
٨ ـ صحيفة دار العلوم ـ السنة الثانية عدد ٤ جزء ١ عدد خاص بالمتنبي •
٩ ـ أخبار أبي الطيب : السيد محمد توفيق البكري •
١٠ ـ ذكرى أبي الطيب بعد الف عام : عبد الوهاب عزام •
١١ ـ ديوان المتبي : شرح ابن عساكر •
١٢ ـ ديوان المتنبي : طبعة هندية
١٣ ـ المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث : د • محمد عبد الرحمن شعيب •
١٤ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د • شوقي ضيف •

نماذج من
الأدب العربي السعودي المعاصر
٣
أضواء على القصة والقصاصين في المملكة العربية السعودية

القصة بمعناها الفني المعروف ، جديدة في الادب العربي ، تعود بداياتها الى أوائل هذا القرن على يد نخبة من رواد فن النثر في مصر العربية ـ قصة زينب لهيكل ـ ثم تعاقبت التجارب وتعددت وأغنت حتى اصبحت على ما هي عليه اليوم من تقدم وازدهار ٠

وتختلف المجالات التي ترتادها القصة تبعا لاهتمامات الادباء القصاصين ، فقد تكون القصة ذات اهداف اجتماعية أو سياسية ، وقد تكون معرضا للعواطف الانسانية والانفعالات البشرية ، أو قد تكون مسرحا لاحداث تاريخية يقصد ابرازها للفطنة والتوجيه ، أو قد تكون انسيابا تلقائيا على طريقة التداعي دون ترابط أو أركان ، كما وصلت اليه اليوم على يد ـ جيمس جويس ـ وقد تكون أنواعا مختلطة من الرمزية الفوضوية والتداعي والقلق والغثيان واللعب بالالفاظ كما وصلت اليه على ايدي بعض الشباب وأظنها تخرج في هذه الحالة من اطار القصة الى اطار الخاطرة ٠

أما القصة كشكل من الاشكال الادبية المستحدثة في أدب المملكة العربية السعودية ففن حديث النشأة ، بدأ أول ما بدا مع نشوء الصحافة والمجلات بعيد الربع الاول من هذا القرن ، مزاحمة للفن الشعري العتيد ، الذي يحط من قيمة أي خيال لايكون عبر ثناياه ،وبين تناعم تفعيلاته ٠

والتاريخ لبدايات فن القصة في أدب المملكة العربية السعودية ، بصورة دقيقة ، يكاد يكون ضربا من الوهم ، لاننا قلنا انه بدأ على صفحات الصحف والمجلات الدورية ابان بواكيرها ٠ وقد ضاع معظم هذه البواكير ، ويعتبر الباقي في حكم الضائع أيضا ٠ ولكننا نؤكد القول أن اقدمها لا يعدو أوائل الحرب العالمية الثانية ٠

وبعد ذلك الوقت راحت القصة تشق طريقها بين سخط الشامتين وتصفيق المشجعين ، وارتضت القصة لنفسها أن تحتمي بمواضيع اجتماعية واصلاحية ، تدرأ بها غضبة وزراية الشانئين من الشعراء والقراء ٠

وعلى الرغم من هذه الحداثة ، والعدائية التي لاقتها القصة ، فانها دخلت أدب المملكة العربية السعودية حاملة أخلاق وملامح المجتمع العربي السعودي الجديد ، وقيمه الدينية والدنيوية وتطلعاته الحياتية المتطورة المتبدلة ٠ وتحمل في تضاعيفها طابع الوعظ والخطابة المباشرة ، أو اثارة الدهشة والعجب ، أو الاحتجاج على التقاليد البائدة، أو التنديد بعادات بالية ضارة ، انتصارا للخير والفضيلة اللذين يؤمن بهما المجتمع السعودي ٠ وهذا هو ما يضع

فن القصة في المملكة العربية السعودية منذ بداياته ، في باب الالتزام بقضايا المجتمع وأهداف الجماهير وخدمة الناس ، تطبيقا لمقولة ـ الفن في خدمة المجتمع ـ .

وبعد ذلك اندفعت القصة على اقلام الكتاب ،مقتحمة في طريقها الصعاب والعقبات ، الى أن قيض لها سيادة الاشكال الادبية الاخرى، واخمال ذكر ماعداها .وقد ساعدها على اجتياز أشواك الطريق الطويل ، وعقبات الهجنة والتعويق ، تبنيها للقيم الفكرية والدينية والاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع العربي السعودي الجديد .

وقد استطاعت القصة بفضل مرونتها ، وقدرتها على الطوعية لبسط مختلف شؤون الحياة ،من تسليط الاضواء الكاشفة على مشاكل اجتماعية ، وقضايا انسانية ، قلما يستطيع الشعر وصولها ، ويظل قاصرا عن معالجتها .

وهكذا استطاعت القصة ان تعبر ببساطة ووضوح عن مفاهيم اجتماعية حديثة يواجهها المجتمع العربي السعودي المتطور والمتنامي ، وابرزت شكل رؤيته للحياة المعاصرة وتطلعاته المستقبلية ، وان تظهر عمق نظراته للمرتكزات الخلقية مع ماينسجم وتعاليم الدين الاسلامي ، وتطلع الانسان العربي المتفتح للنور في المملكة العربية السعودية ، لصياغة البناء الاخلاقي الذي يرتضيه لمجتمعه الجديد . مستمدة مادتها الاولية من التراث المتراكم عبر اسفار التاريخ العربي المجيد،والاسلامي القويم ، وعرضهما بأسلوب فني جديد يحمل كل سمات المرحلة الحضارية التي تبنتها طبقة الطليعة من رواد الادب والفكر في السعودية من أمثال الدمنهوري والعواد واحمد السباعي وحسين عرب وعبد الله عبد الجبار وغيرهم ، ولذلك فتحت الابواب الموصدة في وجهها ، وراحت تطغي على كل الالوان والاشكال الادبية الاخرى .

ومن السمات المميزة لفن القصة في المملكة العربية السعودية ، انها كانت ومازالت حصيلة للروح العربية الصافية فأصولها عربية النسب والارومة ، تستمد مادتها من قدسية الرمال على ارض الجزيرة العربية ، وتستخلص مفاهيمها من القيم الروحية العربية الاسلامية ، مخالفة في ذلك الطرق التي سلكتها مثيلاتها في الاقطار العربية الاخرى ، فلم تسلك طريق التعريب أو الترجمة عن الاداب الاجنبية (انما كانت عربية البذار والارومة ، نسغها ونسيجها مستمدان من الشمس العربية،والارض السعودية ذاتها) .

وتبعا لتطور فن القصة ، ونضوجها في المملكة العربية السعودية نستطيع ان نقسم مراحل تطورها الى ثلاث مراحل أو ثلاثة أطوار ، هي :

١ ـ المرحلة الاولى .. أو مرحلة القصة الانشائية :

وهي المرحلة التي تمتد حتى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ م ١٣٦٥ هـ ، ونستطيع ان نطلق عليها ، اسم مرحلة القصة الانشائية ، أو القصة المقالية ، نسبة الى المقالة التي كانت وسيلتها الى القراء على صفحات الجرائد والمجلات الدورية .

وتناولت القصة في هذه المرحلة نماذج انسانية وشرائح اجتماعية معينة من صميم الحياة ومعاناة الواقع وسلطت عليها الاضواء عبر ضباب كثيف من الخيال القصصي ، وانتقدتها بحرارة ، ومن اهم هذه الموضوعات المرأة وما تلاقيه من عسف وجور ، وصروف الحياة وأقدارها التي لاترحم ولاتميز ، والعلاقات العائلية وما يعتورها من خلافات ومنغصات ، ومسألة الفقر واليتم والميراث ، وقضايا العمل والمال وما الى ذلك ، ومآسي الحب ، والشرف ، والعرض والخديعة ، وغيرها .

فمثل هذه المواضيع تتدرج في حقل الاصلاح الاجتماعي ، الا انها سبكت باسلوب قصصي ، لهذا جاءت سطحية الملامح ، تميل الى اساليب الخطابة والوعظ والارشاد ، بدلا من تعمقها لدراسة الاسس الفكرية والفنية لابطالها ، وتحليل النماذج الانسانية لها ، او لبحث العوامل الاقتصادية التي هي المسرح العملي للسرد القصصي .

ولم يتعمق قصاصو هذه المرحلة ابطال قصصهم ، ولم يحللوا نفسياتهم ودوافعهم ومنازعهم البشرية من خير وشر ، بل اكتفوا بوصف شخوصهم وابطالهم وصفا حسيا خارجيا ، فجاءت اجسادا بلا ارواح ، وكأنها الدمى في مسرح العرائس ، فلا غرابة اذا أن نفتقد فيها صورة البطل القصصي المتطور رالذي يتنامى من خلال تفاعله مع الحدث او بالحوار الداخلي (المونولوج) . وهكذا بدت

شخوص قصصهم جامدة وكأنها تماثيل بشرية بلا ارواح لا حركة فيها ، وصدى لافكار محدودة مرسومة على الورق لا كائنات حية تسعى على اقدامها ، وتتحرك نحو اهدافها وتواجه مصائرها كالبشر ٠

والقصص في هذه المرحلة ، أقرب الى أن تكون حكايات شعبية صاغتها اقلام ساذجة باسلوب قصصي . منها الى قصص يمثل علاقات انسانية حية، تنبض بالحركة وتضج بالانفعالات البشرية، وتتطور مع الحدث القصصي والعمل الفني أو تتواءم معها ٠لذلك بدا العمل القصصي فيها احداثا باهتة مسطحة لاعمق فيها ، ولا احجام لها ٠

وكذلك بدت طباع ابطالها واخلاق شخوصها ، بسيطة واضحة لا لبس ولاتعقيد فيها كما في الطبيعة حيث تتفاوت وتختلف المؤثرات الداخلية والخارجية ٠

أما عواطف ابطالها فعادية جدا لاتعقيد ولاتشابك فيها ، فهي ثابتة لاتتغير مع تواتر الحدث القصصي على امتداد الزمن مع تبدلات العمل القصصي ، ولاتتلون مع تطور السر وتأزم الحبكة ، لذا بدت تلك الشخوص وكأنها أشباح كرتونية اقدارها مرسومة على جباهها ، فالخير فيها يظل خيرا على امتداد القصة والشر يبقى شرا مطلقا ، وكأنها أقدار محتومة لا مفر منها ٠

يضاف الى كل ذلك ، جنوح جم الى المبالغات الجسيمة والاسراف بالتهويل ، الى جانب تلك الخواتيم النادرة التي تنتهي بها تلك القصص ، والمصائر الفريدة التي يبلغونها في اخر المطاف ، فهي خواتم ومصائر أشبه بالاعاجيب والخوارق ، التي يندر حدوث أشباهها في حياة البشر العادية ٠ مما يسقطها في مستنقع الاشخاص الوهمية المذكوبة على الحياة ٠

أما الاساليب الفنية التي سبكت بها قصص هذه المرحلة ، فانها تمتاز بالمتانة اللغوية ، والرشاقة الاسلوبية ، والاسهاب البياني ، مما عوض عن النواحي الفنية المفتقدة والشروط الاساسية المهدورة ٠ حتى لقد حاكت هذه القصص في اساليبها طرائق الفحول الناثرين من المعاصرين والغابرين ٠ فالبناء اللغوي المتين ، والصور الفنية البارزة بالوانها المتعددة ، والاخيلة الخفاقة المجنحُة، والصنعة اللفظية المتقنة كاختيار الالفاظ وصياغة التراكيب ، وكأنها معرض من معارض القول والكلم ، كلها صفات تدلك على الثقافة اللغوية المتينة ، للقصاصين في هذه المرحلة وتعطيك صورة لثقافة الرواد وجيلهم وتمكنهم من أصول اللغة واسباب البيان ، وهذه نقطة مميزة نسجلها في هذه المرحلة من مراحل القصة الفنية وتطورها ٠

ويعتبر الكاتب (احمد السباعي) من أوائل الذين عالجوا فن القصة (الانشائية) وخير مثال نضربه على قصص هذه المرحلة التي أطلق عليها اسم (فكرة) ٠ وهي قصة راعية عرفت باسم (فكرة) وسميت القصة باسمها ، وهي فتاة بارعة الجمال يستبيك وجهها الصبوح ، وعيناها الساحرتان ، وحضنت هذا الجمال بأخلاق متينة شريفة المقاصد على الرغم من سخريتها من اوضاع المجتمع الفاسدة ٠ ويلتقي بها مصادفة رجل على نصيب كبير من الخلق القويم والعادات الفاضلة ، صاحب تجارة رابحة، ور بلعائلة واطفال ، يتمتع بسمعة حسنة وسلوك قويم ، الا ان القدر يوقعه في شباك غرامها فيهجر اهله وبيته وعائلته ويتبعها في شعاب الجبال واطراف الوديان المحيطة بمدينة الطائف ، وتسخر من افكاره في الحب والحياة رغم الفتها له وعطفها عليه ، وتقنعه في نهاية المطاف بالاقلاع عن ملاحقتها والعودة الى بيته واولاده وتجارته ، ويذعن لارادتها ويود ظانا انه برىء من هواه وفي موسم الحج يقف مع الواقفين على عرفة ، ويلتقي بها فجأة هناك ، فيعاوده حبه ويبثها نجواه وتعلقه بها بدون أمل ، وتنتهي القصة باكتشافه انها اخته كان اهلها قد ضيعوها صغيرة ابنة سنتين ، وتعرفوا عليها بالعلامات والشيات الجسدية التي يعرفونها ٠

والقصة الثانية بعنوان (البائسة) للاديب حسين عرب ، وقد بدأها بقوله (الليل مرخ سدوله على البشر ، والنوم يرسل جيوشه على اجسام يميتها ، والكون ساكن لايحركه الا صوت البائسة العذراء المنكوبة الحسناء ٠ أنها شبح تحجبه عن أشعة القمر المنيرة جدران الحمام من محلة (القشاشية) ، فتراه من بعيد يبدو ويغيب ، وما تكاد تقترب منه حتى تأخذك رهبة ، وتكرر النظر فيه ، فترى جبينا زاهيا ، وجهها ابيض ساطعا ، وعمودا فضيا تكسوه بعض خروق بالية ٠ وتنكر على هذا الجبين هاتيك

الدموع التي تنهمر انهمارا ،وعلى ذاك الجسم هاتيك الانات المتوالية ، ويئن ذلك الشبح ، فلا تسمع الا صوت البؤس ينادي ، وماهي الا برهة حتى تميل نحوها وتسألها ايتها الفتاة من أنت وماذا حل بك ؟ واخبريني عن امرك عسى ان يجعل الله في خير انيس يذهب عنك هذا البؤس ويزيل هذا الترح ويشفيك لو كنت مريضة • تخاطبها وهي تزفر زفرات الموت وتتأوه (اه ، اه ، اه) ثم تصمت برهة بعد اتمام حديثك، وتدلي رأسها نحو ركبتيها فكأنها فارقت الحياة ، وبعد هنيهة تفيق من غفلتها وترفع رأسها وتجيبك : أنا ؟ نعم انت (انا ابنة فاضل التركي الكبير • رفلت في بحبوبة أبي ، ولما قضت المنون عليه انقض علي ابناء عمي كالذئاب فسلبوني كل ما امتلكه ، بل اخرجوني من داري ، ورموني في الشارع ، استعطف المارة •• وها أنا ذا الليلة اتذكر والدي لثلاث ليال مضت على وفاته ، وأني ماارى أحسن من هذه الحالة الا الموت • فعسى أن يحسن الله لي في الخاتمة) • ثم تتابع انينها، وسرعان ما تشهق اخر شهقة من انفاسها فيسقط رأسها على الارض وتودع الحياة • فتشعر انها سارت الى رحمة الله • وتسرع باخبار ادارة الصحة فتتسلمها هادئة امنة، وتبحث الحكومة عن سبب موتها،حتى اذا انتهت من امرها زفتها الى قبرها في امان واطمئنان •

والنموذج الثالث للاديب عبد الله عبد الجبار قصة بعنوان (امي) يحكي قصة أم حضنت ابنها صالح بعد وفاة والده وعلقت كل امالها بالحياة عليه ورعته خير رعاية ، وادخلته المدرسة أسوة بصديقه وجاره أحمد، حتى لاتشعره بنقص أو هوان ، وهو لايعرف عملها الـذي تنفق عليه منه الى ان انهكها العمل واقعدها المرض ، مما اضطر صالح لترك المدرسة والعمل عند فوال ، وتأخر يوما فانتهبها القلق ، حتى جاء احمد واخبرها بحادث السيارة التي صدمت صالح ، فاندفعت تولول وتبكي كالمجنونة وهامت علىوجهها كالمجنونة ولم تعدالى البيت•

ولكن صالح لم يمت بل نقل الى المستشفى وبرىء بعد معالجة يرعاه خلالها صديقه احمد ووالده سالم حتى عاد الى منزله ، وأخذت اسرة سالم تعوضه حنان الام والاب ، وثقلت عليه هذه الرعاية فهرب من بيته وقضى ليلته الاولى في الحرم المكي وتكررت الماسي وهو يتحمل ويتحمل يعمل بالنهار ويدرس في الليل الى ان حصل على الثانوية في بعثة حكومية الى مصر ، فدرس فيها الحقوق وعاد ليعين مفتشا قضائيا ، ويظل صالح على خلق قويم وسيرة فاضلة وتتحسن احواله المادية بشكل ملموس وذات يوم نادته امرأة باسمه فعرفها انها (فاطمة) أخت صديقه احمد ، واستدل منها على ماحل بهم بعد وفاة والدها وذهب معها الى حيث امهاواخوها فبرهم وساعدهم على العيش الكريم ، وخطب فاطمة وفي ليلة الزفاف اقتحم داره امرأتان يمنيتان كانت امه احداهما ، فعرفته بنفسها وعرفها ، وقصا على بعضهما ما جرى لهما،ثم نعما بالحياة الهادئة ، وعاد اليه امله وحلمه بكتابة القصة ، فكتب قصة أمه وأبيه وجيرانه كما رواها لنا •

هذه نماذج قصصية لمرحلة القصةالانشائية من حياة القصة في بداياتها في أدب الملكة العربية السعودية وقد بدت لنا من خلال عرضها ، مفتقرة الى المقومات الفنية للقصة الحديثة الكلاسيكية،ولايعني هنا بالحداثة المعاصرة بل الجدة واتباع القواعد والاصول المتعارف عليها •

فالحدث فيها بسيط لاحركة فيه ولاروح،وهو متفاوت فيها يظهر في القصة الاخيرة اكثر من سابقتها ، وهي بمجموعها أقرب الى الخاطرة أو الحكاية منها الى البناء القصصي المتكامل •

والغاية منها كما بدا لنا ، هي العبرة والموعظة ، بقدر ما تكشفه عن شرائح واقعية من صميم المجتمع لتبين الظلم والاعتساف والجور ، ولكنها تبقى بعيدة عن الواقع وأقرب الى الخوارق وغير المألف منها الى الواقع كما في (فكرة) و (البائسة) وان أمكن مسايرتها الواقع في اجزاء منها كما في قصة (صالح) التي عنوانها (امي) •

لكننا نلمح فيها نصاعة الاسلوب ، وجودة السبك ، ومتانة الالفاظ ، مع المحافظة على قواعد اللغة واصولها، هذا الى مانلمسه من رومانتيكية حلوة وخيال رشيق•وهي سمات مشتركة للقصص في مرحلة (القصة الانشائية) وجرت كلها على هذا المنوال •

رئيس التحرير



أهكذا دائما نمضي ونفترق … والشمس جفن على الابعاد يحترق

هل الزمان لهيب من تمردنا … كأننا الق في الارض أو شفق

يسافر الحب في ترحالنا نغما … ما حده زمن أو رده غلق

كأننا فلك ما فوقه فلك … أو أنا أفق ما بعده أفق

للصالحية آه يا يزيد يعد … تمس حزن جبيني وهي ترتفق

كم رحت أضرب وجه الليل في سفري … ووجهها كوكب في البال يأتلق

وفي ضلوعي رماد للحنين به … تعض ساريتي الانواء والغسق

فليتني كنت عصفورا يغبره … قطر الندى وشعاع الشمس والعبق

ولي من القش عش في حمى بردى … لا يستكين ولا تلوي له عنق

د : نذير العظمة

◻ ❋ ◻

رؤكس بن زائد العزيزي

قراءة في المكتبة الصغيرة

- ارطأة بن سهية -

لمؤلفه - عبد العزيز الرفاعي -

● عبد العزيز الرفاعي من هو ؟

اديب بحاثة نابه من أدباء المملكة العربية السعودية المرموقين ، صاحب المشروع الثقافي الميسر ، (المكتبة الصغيرة) . وصاحب المجلس الادبي الذي يعقد في دارته في الرياض مساء كل كل خميس ، يقصده نخبة من رجال الفكر والقلم ، يتبادلون الاراء في قضايا العلم والادب .

ولد في بلدة (أبلح) ، وهي مدينة ساحلية صغيرة على البحر الاحمر .

نشأ في مكة المكرمة ، وتعلم في مدارسها ، وتخرج في المعهد العلمي السعودي ١٣٦٠ . وعمل منذ تخرجه موظفا ، شارك في تمثيل بلاده في بعض المؤتمرات الادبية موظفا ، ومازال يشغل منصب مستشار في رئاسة الوزراء ، شارك في تمثيل بلاده في بعض المؤتمرات الادبية ، بدأ بنشر المكتبة الصغيرة منذ عشر سنوات ١٣٨٩ ، جم التواضع ، غيور على اللغة العربية وعلى العروبة .

● مشاركته العملية في هذه المكتبه :

نشر في هذه المكتبة ثلاثة كتب :

أ - ضرار بن الازور .

ب - خولة بنت الازور ، وقد عالج في هذا الجزء اسطورة خولة بنت الازور معالجة علمية ، بعيدة عن العواطف فنفى وجود خولة،ببراهين قاطعة لاتقبل الجدل.

ج - وأرطأة بن (سهية) الذي هو الابن الشرعي لـ - ضرار - بن - الازور - الذي سبيت امه ، فولد على فراش (زفر بن عبد الله) من (بني مرة) .

● لماذا وضع الكتاب ؟

الاستاذ الرفاعي غيور على الحقيقة ، ويهمه ان توضع الامور في نصابها ، احب أرطأة لانه طراز خاص في الاباء كما نذكر بعيد هذا ، ولانه ظلم حيا ، وميتا ، فنسب الى غير والده ظلما ، وفقد ديوان شعره ، فلا وجود له في دنيا

من دنى الناس ، الى الان . ولانـــــه اخفق في حبه ، بدسائس الدساسين ، فرأى ان قضية الانسانية والادبية تستحق أن يعالجها قلم رصين مثـل قلـم الاستـاذ الرفاعي .

● ارطأة بن سهيه :

نسب الى أمه التي سبيت من بيت (ضرار) وهي حامل فصارت الى (زفر بن عبد الله) وولدت (ارطأة) علـى فراشه ، فنسب الى امه حيا وميتا ، وامه من اسرة كريمة يرتقي نسبها الى (عامر بن صعصعة ، من العدنانية .

عرف ارطأة بصدق العاطفة الابوية ، الى حد يكاد يكون غريبا مات له طفل اسمه – عمرو – فجزع عليـه حتى كاد عقله يذهب ، فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده، لايفارقه حولا . فاراد الحي ان يرحل بعد حول ، ففدا – ارطأة – على قبر طفله ، الذي لم يعش سوى سنه ، وقعد عند القبر ، حتى اذا حان الرواح ، ناداه ، رح يا ابن سلمى معنا .. فقال له قومه : – فنشرك الله في نفسك ، وفي عقلك ، ودينك .. كيف يروح معك من مات مـذ حول ؟ – .

فقال : – انظروني الليلة الى الغد – فاقاموا عليه..

فلما اصبح ، ناداه : – اعد يا ابن سلمى معنا ... فلـم يزل الناس يذكرونه الله ، ويناشدونه .. فانتضـى سيفه ، وعقر راحلته على قبره .. وقال : – والله لاأتبعكم فامضوا حيث شئتم أو أقيموا فرقوا له ورحموه فأقاموا عامهم ذلـك . وصـبروا على منزلهم ، وقـال – ارطأة – يومئذ في ابنه : –

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكـن
وقوفي عليه ، غـير مبكى ومجـزع !

هل أنت.. أبن سلمى ان نظرتك رائح
مع الركب ، أو غاد غداة غد معـــي ؟

حب أرطـأه :

أحب (ارطأة) فتاة اسمها (وجزة)فذكر من أجلها (جبل رمان) و (قصر العذب) حيث اقامت وهام بها ، لكن الوشاة أفسدوا مابينهما ، فهجرته ، هجرا امض قلبه، فأخذ يتذكر منازلها بقوله :

وراوية نازعتهـا الليـل زائـرا
لو جـزة تهديـني النجـوم الطوامس
أعوج با صحابي عـن القصد تعتلـى
بنـا عرض كسريهـا المطي العوامس
فقد تركتني لا اعيـج بمشـرب
فـأروى .. ولا الهو الـى مـن اجالس
وقـد جـاورت قصـر العذيب فما يرى
برمـان الا سـاخط العيـش بائس

الى أن يقول :

كذلـك صرف الدهـر ليـس بتـارك
حبيبـا ويبقـى عمـره المتقاعس

وتشاء الايام ام التصرفات العجيبة ، ان تجمع بين الحبيبين ،وقد امست (وجزة) عجوزا ، جللها الشيب ، وعزاها الفقر الكافر ، فاخذ (ارطأة) يستعيد ذكرياتهما ، ذكريات الحب الذي وئد ، والجمال الذي انهار عرشه . فادرك ان حبيبته قد عضها الفقر بنابه ، فساق اليهـا عشرة من ابله ، عقلها عند بيتها . تصطرع في نفسـه الذكريات ، ويردد قلبه مايشبه قول مجنون ليلى :

وشب بنو ليلى ، وشب بنو ابنها
واعلاق ليلى في فؤادي ، كما هيا ..

ارطأة والسياسة :

يقول مؤلف الكتاب ان شاعرنا لم يتدخل في امور السياسة ، ولا شارك في الانقسامات التي مزقت العالم العربي الى فرق واحزاب وشيع ، ومع انه مدح بني امية، الا انه لم ينضم الى حزبهم السياسي ، وهكذا فعل مع ذرية علي . ولم يشارك في الصراع الادبي الذي ثارت اعاصيره بين رجال المثلث الاموي :

أ ـ الاخطل .

ب ـ الفرزدق .

ج ـ وجرير .

ارتباط ارطأة بدياره :

كان ارطأة شديد الارتباط بدياره لا يكاد يغادرها الا لحاجة حيث كان يتردد على معاوية بن ابي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، ويطيل الاقامة في دمشق ، الى حد ان بعض اعدائه وخصومه ، ارجفوا انه مات . ويبدو انه عند زياراته لدمشق كان يقيم في دير (الماطرون) ، وهو في موضع قريب من دمشق. وقد كان بعض الديارات على جانب عظيم من الفخامة ، واتساع الرقعة ، وحسن الالة ، حتى ان بعض الخلفاء والملوك والامراء واعيان الناس ووجوههم ينزلون في تلك الديارات ، ولايخرج احدهم منها الا وهو يلهج بطيب الاقامة ، والثناء على من بها .

● ديوان ارطأة :

لقد حاربت الايام شعر ارطأة ، كما حاربته هو ، في نسبه ، في حبه لحبيبته (وجزة) فلم يبق من شعره الا الاقل ، وهذا الشعر على قلته يدل على اصالة الشاعر ، وقد بحث المؤلف عن ديوان ارطأة ، لان التبريزي قطع ان لارطأة ديوانا ، فبحث المؤلف عن هذا الديوان ، فلم يعثر على خبر ، فاستثار همة باحثي العراق لتتبع مكان هذا الديوان ، فجاءه جواب الاستاذ البحاثة (هلال ناجي) يخبره ان (بروكلمان) يذكر في كتابه (تاريخ الادب العربي) ان نسخة مخطوطة من ديوان ارطأة برواية (ابن الاعرابي) موجودة في المكتبة (الاصفية) في (حيدر اباد الهند) م : ١٤٢٨ برقم ١٥٢ وانه يوجد من الديوان منتخب مخطوط لزيد بن رفاعه ، محفوظ في مكتبة (برلين) برقم ٦٣٢٩ وان احد المستشرقين نشر قسما من شعر ارطأة في مجلة تراس مجلة الجمعية الاسيوية الملكية ١٩١٧ .

وجاء العلامة الجليل (حمد الجاسر) بمايؤيد ماذهب اليه البحاثة المحقق (هلال ناجي) .

فلما تتبع هذه الروايات على يد صديقه السيد (ممحد حمد الشبيلي) وجد ان ماقيل على الديوان مخطوء فيه لان فهرس المكتبة وضع ماهو خاص بـ (ابن السكيت) ازاء اسم (ارطأة بن سهية) . ونفي الاستاذ (جميل الحجلان) وجود الديوان في مكتبة برلين ، معتمدا على تحقيقات الدكتور (محمود حسين الاحول) . فانت ترى ان الاستاذ الرفاعي لم يكتف بما توصل اليه ، بل جند اعلاما من اخوانه للبحث عن هذا الديوان خدمة للعلم وللتاريخ وللحقيقة ، التي يسعى الى تحقيقها دائما .

فنشكر الاستاذ الرفاعي على ما بذل من جهد مشكور

عمان ـ روكس بن زائد العزيزي

□ ✻ □

القصر المهجور

شعر: ممدوح مولود

قم يا أبي .. فلقد أودى بنا التعب   والقصر شؤما علينا راح ينقلب

أردت اسعاد من خلفت من نجب   فخيب الظهر في اسعادك النجب

أردت ايواءهم ـ رباه ـ في سكن   يلم أشتاتهم مما به غربوا

تركت فيهم حصاد العمر والهفا   على أب مثله الآباء ما وهبوا

أردت في رأفة تجميع عائلة   ومنية لك كانت ذلك الأرب

أردت في لهفة أن يغتدوا بشرا   فخاب ظنك فيما كنت ترتقب

أردت مأوى لهم يأوون فيه معا   فلم يحقق رجاء كنت ترتغب

ولا أرى قط للمأساة خاتمة   فكل يوم لنا من أمرها عجب

في كل يوم أرى فصلا يضاف الى   رواية مثلها لم تعرف الحقب

فلم يكد ينهض البنيان منتصبا   حتى مضت فوقه الغربان تنتصب

كأنما لعنة الشيطان قد نزلت   عليه والنحس فيه انصب والغضب

كأنما العمر لم تنفقه في شظف   كيما توفر للابناء ما سلبوا

كأنما البؤس لم تقبله في شغف   كيما يكون لهم في العمر ما رغبوا

كأنما الصبر لم تجرعه في لهف   عسى به ذات يوم تنجلي السحب

فيالعمر شقي ضاع في أسف   وضاع فيه الكفاح المر والتعب

وهل على الارض ما بين الرجال أب   أبناءه كل ما في وسعه يهب

جل الفداء ٠٠ وجل البر في هبة
فهل ترى عرف التاريخ تضحية
وهل ترى حفظ الابناء مكرمة
اني أرى الغدر غطى كل مكرمة
أرى الخيانة ـ يا للهول ـ صارخة
ومؤسف أن أرى الغربان ناعقة
قم يا أبي ٠٠ واشهد المأساة قائمة
قم كي ترى الفتنة الكبرى معربدة
قم كي ترى الحرب حول القصر ناشبة
قم كي ترى أسيرة باتت مفككة
كأنما كان هذا القصر تجربة
وكل يوم نرى في الكون أمثلة
وما أسفت لاني لا أزال كما
فالقبو ـ وانكبتي ـ قد بات لي قدرا
وكل شيء كما تدري له ثمن
وما اكتئابي لأن القبو لي وطن
ولالاني أرى الظلماء مطبقة
ولالاني في كهف قد اختنقت
ولالاني أرى الاوساخ محرقة
ولالاني أرى الاطفال قد نشأوا
وزوجة في ظلام القبو صابرة
كأنها في الآسى بالله مؤمنة
ولا لاني أرى الجدران قد عريت
ولا لأن سقوف القبو موشكة
ولا لان به صيفا نذوب لظى
ولا لأن شتاء القبو مهلكة
ولا لان به جردت من قلم

هيهات في وصفها أن تنصف الخطب
يفدي بنيه بها ـ يا للفداء ـ أب
لوالد يزدهي فخرا به النسب
فبئس ما غنموا ، بل بئس ما كسبوا
والبر فيها بأيدي الغدر ينتحب
على خراب عليه الدمع ينسكب
كأنها بدم الآهات تختضب
فلا الدهور بها تمضي ولا الحقب
والنار تغلي بها والحقد يلتهب
فليس يجمع فيما بينها حسب
وقلة من بأيدي الفحص ما رسبوا
يجلو الحقيقة فيها المال والذهب
ودعتني في ظلام القبو أغترب
وفي المجال أرى لا ينفع الطلب
والدفء وهم اذا لم يوجد الحطب
وفيم من قدري أشكو وأكتئب
وفي متاهاتها الارواح تضطرب
فيه الحياة فما من خفقة تثب
من كل صوب بنا الأنفاس تغتصب
مع الظلام وفي أوكاره شحبوا
مثلي ، وما لوم من عنا السنا حجبوا
فلا أراها محالا قط تطلب
من الدهان وقد ٠٠ قد هدها العطب
على السقوط ، ترى من سوف تنتحب ؟
مع الحريق الذي يغلي به اللهب
وحوله أنهر الامطار تنسكب
قد كنت يوما به السلوان أجتذب

ومرقـــدي حيث لـــم تسمـع بـــه أذن
مكانـــه خلـف بـاب القبـو ٠٠ لاغمضـت
وخلفــه ثرتــع الجــرذان سارحـــة
وجانبـي ٠٠ قربـي المرحـاض ، لاسعــدت
وسيـــد القبـــو فـــوق الــرأس مطرقـــه
فـــلا يـرى قط هـــذا القبـــو مقبــــرة
مزمجــرا دائمـا تلقــــاه مـــن غضـب
فـــي كـــل عهـــد لـه حـــرب ومعمعة
تلقـــاه كالحملـــة الشعـــواء مندفعــــا
فـــي صـــدره النقمـــة الســـوداء لاهبـــة
كأنمـــا فقـــد التفكـــير من جشــــع
ومنتهـــى الــذل أن يجتاحنــــا قـــدر
يا للمحامـــي الـــذي ألقـــاه مدعيـــا
يا للمحامـــي الـــذي يبكـــي القضـــاء بـــه
فقـــل لمـــن لـــج فـي العدوان غطرســـة
فالنـــاس مهمـــا علـــوا فـي الاوج مرتبـة
أمـــا الغسيــــل فمـــا في القبـــو منسرب
نحـار واللـــه فـــي تجفيفـــه ٠٠ فـــاذا
كـــم ذا نشرنـــاه ضمـــن القبو فأنتشرت
وكـــم علينـــا أراه امتــــــد داليـــــة
هـــذا الغسيـــل لـــه فـي الصيـف مروحة
وفـــي الشتـــاء لـــه ويـــلاه مدفـــأة
وذا مصـــير الـــذي لـــم يمتلك سعـــة

ولا رأت مقلـــة يومـــا ، ومـــا العجـــب ؟
عـــين تؤرقهـــا الأمـــوال والرتـــب
وقـــد صفـــا وهفـــا ليـــلا لهـــا اللعب
نفس بهـــا لا يمـــوج اللـــؤم والكـــذب
لنـــا المصـــائب والآلام يجتلـــب
بـــل عنده القبـــو قصـــر زانـــه الذهب
وليتـــه بعض هـــذا النبـــل يقتضـــب
كأنـــه البحـــر لا يسجـــو لـــه غضـب
ومـــا درى أن أهـــل الحـــرب قد ذهبـــوا
وكيـــف لا يغتلـــي فـــي صـــدره اللهـب
فـــلا يقـــر ولا يـــروى لـــه سغـب
بقيـــة الـــروح فـــي الاحشـــاء يحتلب
بالحـــق ، بينـا آراه الحـــق يستلـــب
وفـــي يديـــه دمـاء العـــــدل تنسكب
ما كـــان ذلـــك ما يحـــرى ومـــا يجب
فالفخـــر دومـــا لمـــن قد زانـــه الأدب
للشمـــس فيـــه ببعـض الـدفء تنسرب
شعبـــان لا يرتجـــى خـــيرا ولا رجـــب
مـــن البخـــار الـــذي يلقـــي بـــه السحب
ولا يرى حصـــرم فيهـــا ولا عنـب
كـــرمى لمـــن عمرنـــا فـي القبـو قد نكبـــوا
وألـــف شكـــر لمـــن مأساتنـــا كتبـــوا
مـــن الثـــراء وللحرمـــان ينتســـب

أما الدخان فما من سمه هرب ... وكيف من سم حظي يبتغى الهرب

وكيف أنسى ترى الثيران جامحة ... على المداخن في تهدارها تثب

ولا غرابة في عدوانها ، فلكم ... من كل ثور جموح أنجبت حلب

وربما قصة المرحاض مضحكمة ... وكم يحف بها الاعجاب والعجب

لعلها قصة في الدهر خالدة ... ولا أظن بها قد تعلم الكتب

وما جراح رماح الدهر مضحكة ... وكم أسى ضحك قد راح ينقلب

كأنما كان هذا القبو آخر ما ... تنحو اليه ابتغاء المسكن الرغب

كأنما شاءه المعمار مختزنا ... يلقى به للشتاء الفحم والحطب

حظيرة ربما الابقار رافضة ... فكيف يأوي بها من ذابها صلبوا

زريبة ربما الاغنام معرضة ... عنها ـ فما قول من فيها قد انزربوا

مستودعا .. عنبرا .. بل لهف أوبتة ... فيه العناكب والديدان تضطرب

فليس في غرفة القبو مدخنة ... منها الدخان ككل الدور ينسحب

فيكف نبغي شتاء وضع مدفأة ... وما لمدفأة في القبو منسرب

وهكذا كلما ركبت مدفأة ... منها الدخان علينا راح ينسكب

فالقبو يا والدي سجن ومعتقل ... وراء قضبانه الارواح تنتحب

فيالزنزانة أشقى بها توقا ... الى سنا ومضة في معقلي تثب

ويا لعمر شقي ينطوي أسفا ... قد زاد فيه الأسى الطوق الذي ضربوا

فلا مكان لشعر قد سما شمما ... فلا النفاق ولا التزييف يرتكب

كأنني في زمان ساء من زمن ... وما المكارم والاخلاق والادب

بكل شيء رضينا يا أبي .. فاذا ... بالحقد حظي أرى لازال يصطخب

فقد غدا قبونا للناس مبولة ... وقد رأوا حفرة يرعى بها الجرب

ولو رأوا ما بهذا القبو من قرف … لما اكتفوا بالذي ألقوه أو سكبوا

فالقبو في الحق للجرذان مزرعة … وللصراصير في أرجائه تثب

ولو وجدت بروج الحظ خالية … من برج حظي الذي أخشى وأجتنب

لرحت أدعوه برج الكلب في قرف … وهل بوجهي الاحظي الكلب

★ ★ ★

لقد جأرت بشكوى الحق فانقلبت … شكواي شرا وكم ذا الحق ينقلب

وتوجت لعنة رأسي بلا سبب … وكيف يرجى ترى في اللعنة السبب

وما عجبت لبرد كان صاعقة … كما عجبت لمن ذا الحق يغتصب

كأن حظي كلب دونما ذنب … فيا لكلب خلا منخلفه الذنب

كأنني في غمار الحرب مئذنة … تدعو الى السلم والنيران تنسكب

أقول ماذا ترى في وصف كارثة … يبكي على بؤسها التاريخ والكتب

أقول ماذا ترى والقبو مقبرة … وذلك القصر للغربان ينتصب

مشردون .. فلا الاحلام جامعة … ولا الأماني ولا الاحزان والنوب

فألف رحمى لمن قد جل مكرمة … وجل تضحية يزهو بها النسب

وألف رحمى لمن ذكراه ما برحت … في كل يوم لها تكريمنا يجب

اني وأن كنت تحت الارض مندثرا … واليأس يسحقني والبؤس ينتهب

فانني لم أزل بالنبل محتفظا … وصاحب النبل كأس الذل يجتنب

ولن أساوم في حق غدا مزقا … وان بدا لي فيه الدر والذهب

كرمى لذكراك .. وعد ذاك بل قسم … ألقى به كل من قد راح يغتصب

فلتنطلق فوقه الغربان ناعقة … ولتصفر الريح في أطلال ما خربوا

حلب ـ ممدوح مولود

غربة.. واغتراب!

الى الذي قال لي امس معاتبا : لماذا لا اراك ؟
اتنسى اننا غرباء في هذه الدنيا ؟ الى الشاعر
الكبير الاستاذ انور الجندي .

شعر : عابر سبيل

صدقت فقد دنا منا المغيب — وأقبل يستهين بنا المشيب
نفيء الى الغصون فلا ظلال — ونستجدي الورود فلا طيوب
وأمس كانت الدنيا تغني — لنا والعمر مخضل رطيب
كلانا ذاق من عنت وهجر — كلانا في مرابعه غريب
« وهل للاسد في الآجام عيش — اذا وهت المخالب والنيوب » ؟

نجي الشعر معذرة القوافي — فقد اودت بامالي الخطوب
عتابك امس اصفى من رهيف — وعندي انه اللحن الطروب
وقفت أشنف الآذان منه — ورحت ولست ادري ما اجيب
فلا عود يطاوعني ويحنو — ولا نجم الى افقي يؤوب
وماذا ارتجي وانا مهيض — وهل يجدي التفجع والنحيب ؟

سلمية : عابر سبيل

من التراث العربي

الفيلسوف الفارابي

بقلم اسماعيل الميرعلي

مقدمة البحث :

لقد تحدث المستشرق البرفوسور - جيب - في كتابه تراث الاسلام ، عن الريادة الاسلامية واللغة العربية ،في علوم الحياة وأصالة الثقافة العربية وأثرهما الكبير في الحضارة الغربية (لقد كان للمسلمين أكبر الفضل في توجيه الاوروبيين الى البحوث الفلسفية والدراسا تالعلمية والمنطقية،وفي تعريف العقل الاوروبي بفلسفة الفارابي المعلم الثاني) .

هذا القول لم ينفرد به المستشرق - جيب - بل جاراه في ذلك العديد من المستشرقين الاوربيين مثال : هنري كوربان - وماسينيون - وشتروطمان - وبروكلمان - ويساسي وغيرهم ... ولكن هناك باحث مؤرخ أنصف العرب وألف كتبا كثيرة عن حضارتهم وثقافتهم هو المستشرق الشهير - أرونولد توينبي - والذي يعتبر من أكبر المؤرخين الغربيين المنصفين والثقاة .

هؤلاء المستشرقون الذين ذكرناهم انفا قد أثروا الفكر العالمي وغمروا المكتبات العربية بالعشرات من المجلدات والمخطوطات التي تتحدث عن أثر العرب في العلوم والثقافات الانسانية ، بعكس أولئك الذين تحاملوا على الاسلام وعلى العرب وزيفوا وحرفوا الحقائق بدافع الحقد والعنصرية والمذهبية . يقول البرفسور أرونلد المعروف بسعة أفق ثقافته واطلاعه على التراث الاسلامي يقول : ان الدين الاسلامي دين حضاري استمد جذوره ومقوماته من أرض العرب وحضارات ومدنيات الامم الغابرة التي انطلقت من بلاد الشرق تحمل لواء النور والمعرفة والعلوم الى رحاب العالم أجمع ، وكانت أوربا في ذلك العصر غارقة في بؤرة الجهل والفقر والتخلف الاجتماعي والفكري ويحدثنا أيضا عن أثر العرب الحضاري عبر الاندلس ، في أوربا وفي ميادين عديدة من أهمها : الفن والادب والموسيقا وعمران المدن وعلم البحار والفلك حيث لاتزال ثمة أسماء عديدة في أوربا وأسبانيا مشتقة من اللغة العربية ، واصطلاحات متنوعة لازالت سائدة في المجتمع الاوروبي ، ومن الاعلام المسلمين الكبار الذين سطروا في تاريخ العلم والفلسفة العربية صفحات مشرقات نقلوا من خلالها الفلسفة اليونانية والبزنطية والفارسية وعلوم الهند الى أوربا ، وموضوع بحثنا هذا هو المعلم الثاني - الفليسوف أبو النصر الفارابي - وهو من العباقرة الافذاذ الذين أثروا الحضارة العالمية في أبحاثهم ومؤلفاتهم ودراساتهم وقدانعكس تأثير الفارابي وغيره من فلاسفة الاسلام على إراء كل من (توماالاكويني)

وألبير تالاكبر - جناحي الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى ٠

من هو الفارابي - فلسفته ومدرسته :

يختلف المؤرخون في صحة نسب وموطن الفارابي فمنهم من يقول أنه من تركستان السوفيتية ، من أم تركستانية وأب ينحدر من أرومة عربية ، وبعضهم يقول أنه ولد في تركيا ومن أصل تركي نسبا وأصلا ، ثم بعد ذلك رحل الى ديار الشام حيث أكب على دراسة المنطق والفلسفة والعلوم ويذكرون انه عاش مدة في بغداد ثم عا دفاستقر في حلب ولزم مجلس سيف الدولة الحمداني وهو من عائلة عربية الوحيدة التي بقيت تسيطر على جزء من الملكة العباسية التي دب في أوصالها التمزق والانقسام وهي التي حافظت على التراث العربي ورعت الادب والفكر والفن ، ولقد توطدت عرى الصداقة بين الامير العربي والفارابي الفيلسوف الذي انضم الى النخبة الممتازة من رجال العلم والفقه والادب الذين كان مجلس سيف الدولة يضمهم ويرعاهم ويقدم لهم المكافأة حسب انتاج وعطاء كل منهم ٠ ولقد أطلع الفارابي على كتاب الجمهورية لافلاطون وأعجب به أيما اعجاب ، وسرعان ما ألف كتابا نسجه على منواله وأسماه - أراء أهل المدينة الفاضلة ٠ والفارابي اجتماعي المذهب ويعتبر كتابه وما تضمنه من اراء أول كتاب بحث في فلسفة الاجتماع وفي المنهج السياسي ، حيث دعى لاقامة دولة عالية تجمع البشرية كلها تحت لوائه ٠ - ولو كانت هذه الافكار خيالية مثالية من المستحيل تحقيقها ولكنها تعبر عن أفكار هذا الفيلسوف العميقة والبعيدة المعنى والانسانية المحتوى ٠ ان فلسفة الفارابي الاجتماعية تقوم على تقسيم المجتمعات البشرية الى ثلاث مراتب عظمى ووسطى وصغرى والى كاملة وغير كاملة ، فالعظمى هي أرقاها لانها تتكون من اجتماع المجتمع كله بمعنى أن يجتمع العالم بأسره ويشكل دولة عالمية واحدة تعمل على اذابة جميع الفروق الاجتماعية والعنصرية والمذهبية بين البشر ٠ والوسطى هي أقل منها كمالا ، لانها تقوم على اجتماع أمة في جزء من الارض تحت سيادة ومراقبة حكومية مستقلة تسن القوانين وتنظم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين مواطنيها ٠ أما الصغرى فهي أقلها جميعا في الكمال ، لانها تتألف من مجتمعات محدودة جدا ، مجتمعات المدن التي تحتويها اجتماع الامة في رقعة كبيرة من المعمورة كما ذكرنا انفا ويقول الفارابي عن منهجه هذا : ان المراتب الثلاث للمجتمعات المذكورة سابقا هي مجتمعات كاملة أما المجتمعات غير الكاملة فهي التي تقوم في القرية أو المزرعة أو الحي ٠

ولقد تجاوز الفارابي بنظرته الانسانية الشمولية أراء ونظريات الفلاسفة الاغريق الذين لم تتجاوز أسوار مدنهم وقراهم ، وتفكيرهم السياسي لم يتمكن من الانفتاح على العالم كما هو الحال عند الفيلسوف الفارابي الذي تخطى فكره العملاق حدود بلاده الى افاق عالمية وانسانية أوسع وأبعد ٠ وللفارابي نظرية سياسية في مجتمع المدينة الفاضلة والدولة العالمية فهو يحتم بأن الاصلاح لايتم الا بوجود رئيس صالح لذلك فقد شبه رئيس الدولة بالقلب واشترط أن تتوفر فيه مناقب وخصائص كثيرة من أهمها : أن يكون الرئيس تام الاعضاء جيد الفهم متقد الذهن حاد الذكاء محبا للعلم والصدق والعدل غير شره للماكل والمشارب ولا مزواجا جنسيا الخ ٠٠٠

والرئيس عند الفارابي اسمه الامام لايخضع لاهوائه ولا لاي انسان اخر ويلقبه برئيس الامة الفاضلة، أو المدينة الفاضلة ، والانسان في نظر الفارابي مخلوق مجتمعي بالفطرة لايستطيع أن يعيش منفردا منطويا على ذاته الا بالتعاون مع غيره ، والمجتمعات البشرية في علاقاتها المتبادلة تشبه الانسان الفرد في روابطه باخوانه من بني الانسانية ثم أن الاستغناء عن التعاون مع الغير ليس من فطرة الكائن البشري الاجتماعي بالطبع والتجربة ، والحاجة الى مساعدة البشر بعضهم بعضا هي التي تدفعهم الى التعاون والتفاهم والاتحاد ٠

ان مضمون هذه الفلسفة الانسانية تهدف الى خير البشرية وتأمين السعادة والمحبة والتعاون والسلام وهذا المجتمع تمثله الفارابي مجتمعا بلا فوارق طبقية ولا اختلافات مذهبية وعنصرية ٠والخطأ كل الخطأ أن ننظر الى فلسفة الفارابي الاجتماعية ومنهجه السياسي بمنظار العصر ونحاسبه على هذا الاساس ولكن يجب علينا أن ننظر اليه وكأننا نعيش عصره لان القرن العاشر الذي عاش فيه الفارابي لم تتبلور فيه تبلورا يعطيها المعنى الموضوعي العلمي القائم على أسس منطقية حديثة تتفق وتكنولوجية العصر لان لكل عصر مقوماته وخصائصه ٠

ويعتبر الفارابي كفيلسوف من أكبر فلاسفة الاسلام والعرب أثر تأثيرا كبيرا بعيد الغور في الفكر الغربي الحديث ، ويعتبره الفرنسيون الادب والفكر والفن ، ولقد الحديث ، ويعتبره الفرنسيون رائد الموسيقى الغربية والعالمية وصاحب الانامل السحرية في التلاعب بمشاعر وأحاسيس النفس الانسانية وانه لفيلسوف سبق عصره بأشواط بعيدة ، فبالرغم من كونه فيلسوفا أسلاميا ، لم يحصر فكره ودعوته في هذا الاطار الديني بل راح يفكر في مصير الانسان كانسان لاتؤثر فيه العصبيات المذهبية والقبلية ولا يستوحيها أصلا في نهجه العلمي ونظرته الى المجتمع والكون ٠ وهذه الافكار قد خلقت منه فيلسوفا تجاوز حدود عالمه الاسلامي الى افاق عالم أوسع وأرحب فهو لم يكن متعصبا لمذهب من المذاهب الدينية ولا منغلقا على نفسه به هو فيلسوف يغرف من مناهل العلم والمعرفة من أي مورد أو ناحية كانت فقد أراد أن يكون الاسلام نورا وعلما وفكرا وفلسفة انسانية تعم العالم أجمع بمبادىء عقلية منفتحة تأخذ بعين الاعتبار حاجات العصر ومواكبة التطور التاريخي للامم والشعوب٠ هذه بالتأكيد عقيدة الفارابي وفلسفته الانسانية والاجتماعية أما علومه الاخرى فهي وافرة في الفنون والعلوم والموسيقى والادب والفقه والفلسفة ، فقد بدأ فلسفته بالدفاع عن العقل فأثبت له أحكامه الاولية البديهية التي تعتمد على الباهين كلها ولازالت أقواله في المعرفة والوجود تتحكم في عقول العلماء والفلاسفة والمتكلمين حتى أيامنا هذه ٠

يقول الفارابي : « ان العلم ينقسم الى تصوير مطلق وتصور مع تصديق التصور مالم يتم الا بتصور يسبقه ، كما يتصور الجسم ما لم يتصور الطول والعرض والعمق وليس يلزم ذلك في كل تصور بل لا بد من الانتهاء الى تصور يقف ولا يتصور تصور يقدمه ، كالجود والوجوب والامكان ، فان هذه لاحاجة الى تصو رشيء قبلها بل هي معان ظاهرة صحيحة مركوزة في الذهن ٠

ويقول أيضا : (أما التصديق فمنه ما لا يمكن ادراكه ما لم تدرك قبله أشياء أخرى كما أن تريد أن تعلم أن العالم محدث فيحتاج أولا أن يحصل التصديق بأن العالم مؤلف وكل مؤلف محدث ٠ وهذه أحكام أولية ظاهرة في العقل ، كما أن طرفي النقيض يكون أحدهما صدقا والاخر كذبا وان الكل أعظم من الجزء ٠ فهذه معان مركوزة بالذهن يمكن اظهارها على سبيل التنبيه اذ لاشيء أظهر منها ولا يبرهن عليها لانها بينة بنفسها ويقينية الى أقصى درجات اليقين ولايمكن الاستغناء عنها في اقامة البرهان على أية قضية لانها أسس وأصول بديهية وعلى هذا اليقين وضع الفارابي برهانه على وجود الله تعالى فقال : (ان الموجودات على ضربين ـ أحدهما ممكن الوجود والثاني واجب الوجود ٠ وممكن الوجود اذا فرض غير موجود لم يلزم عنه محال وليس بغنى بوجوده عن علته ، واذا وجد صار واجب الوجوب لغيره لابذاته ٠ أما واجب الوجود فمتى فرض غير موجود لزم عنه محال ولا علة لوجوده ولا يجوز كون وجوده بغيره ٠ والاشياء الممكنة لايجوز أن تمر بلا نهاية في كونها علة معلولة ولا يجوز كونها على سبيل الدور بل لابد من انتهائها الى شيء واجب هو الوجود الاول الذي هو السبب الاول لوجود الاشياء) ٠

ويقول الفارابي : (ولما كان الباري أكمل الموجودات وجب أن تكون معرفتنا به أكمل معرفة كما أن معرفتنا بالرياضيات أكمل من معرفتنا بالطبيعيات لان موضوع الاولى أكمل من موضوع الثانية ٠٠٠ولكننا أمام الموجود الاو لكأننا أمام أبهر الانوار فلا نستطيع احتماله لضعف أبصارنا لان الضعف الناشىء عن ملابستنا للمادة يقيد معارفنا) ٠

ونحن نرى أن ابن سينا والسهروردي هما على وفاق مع الفارابي في رفضه الاتحاد وهي نظرية وحدة الوجود لان الاتحاد يؤدي الى نتائج متناقضة · ويمكننا أن نتعرض لقضايا ثلاث في مذهب الفارابي الفلسفي · ويعود الفضل الى الفارابي في فصله وتميزه بينجوهر الموجودات ووجود تمييزا منطقيا وما ورائيا · فالوجود ما هو بطبيعته الا مكونا للجوهر أو أن هو الاصفة أو عرض لهذا الجوهر · لقد كانت نظرية الفارابي هذه نقطة تحول في تاريخ الفلسفة الماورائية وقد بقيت هذه النظرية سائدة حتى جاء الفيلسوف الفارسي الملا صدر الشيرازي في حدود القرن السادس عشر للميلاد فأحدث تغيرا حاسما في الموقف اذ أكد على أسبقية الوجود وأعطى لفلسفة الاشراق الماورائية طابعا وجوديا · في أصل هذا الموقف المتعلق بالكائن الواجب الوجود والكائن الواجب الوجود والكائن الممكن الوجود الذي لايمكنه أن يوجد بذاته عندما يفرض عليه الوجود بواسطة كائن اخر وبالضبط بواسطة الكائن الواجب الوجود أي الذي تقضي طبيعته بوجوده · وان ثمة نظرية أخرى تميزت بها نظرية الفارابي وهي نظرية العقل وفيض العقول المتوجبة عنده · كقوله بمبدأ عن الواحد لايصدر الا الواحد ، ان صدور العقل الاول عن الكائن الاول وتأملاته الثلاثة التي تتابع دوريا لدى كل العقول الاخرى ، تولد في كل مرة عقلا جديدا ونفسا جديدة ويشترك السهروردي وابن سينا في نظرية الفيض مع الفارابي · وهذا الفيض الذي يتكرر حتى العقل العاشر والذي بنى عليه الفارابي نظام الكون هو نفسه بحث به ابن سينا وتوسع فيه ·

ان نظرية الجواهر الالهية الاولى والكواكب الالية عند أرسطو تصبح في فلسفة الفارابي مايسمى بالعقول المفارقة، لقد كان الفارابي معاصرا لكبار المفكرين المسلمين الاسماعيليين الاوائل ·· فاذا ما قابلنا نظريته القائلة بالعقول العشرة بتلك التي قالت بها الباطنية ، لظهرت لنا نظريته بمظهر جديد في معرض تحليلنا الموحد لبنية النظام الفلسفي القائم على تعاقب العقول العشرة عند الاسماعيلية من الفاطميين ، انها تختلف عن البنية التي استعملها فلاسفة الفيض من حيث نظرتها الى المبدأ الاول على أنه كان يسمو على الكائنات ·

فهو خارج عن نطاق الكينونة والعدم والانبعاث لا يبتدأ والحالة هذه الا عن العقل الاول ، فان النظام الكوني عند الاسماعيلية يتضمن عنصرا دراماتيكيا لانجده عند الفارابي ولا عند ابن سينا ومع ذلك فان صورة الملاك العاشر عند المسلمين الاسماعيلين تطابق العقل العاشر تمام المطابقة وهو ما يسميه الفلاسفة العقلانين بالعقل الفعال هذا ما يجعلنا نلمس ما للاراء الاسماعيلية الباطنية من أثر عميق في فلسفة الفارابي وفي نظريته عن النبوة ، ويضرب الفارابي الامثلة على نظريته فيقول : ان نسبة العقل الفعال الى العقل بالقوة كنسبة الشمس الى العين الذي هي بصرنا بالقوة ، مادامت في ظلمة فاذا حصل الضوء في البصر صار بصرا بالفعل جاء هذا في كتاب رسالة العقل ص ٢٥ ـ ٣٧ وهذا العقل هو اخر سلسلة العقول المفارقة وأقربها الى الانسان وعالم البشر وهو دائم بالفعل ويجعل منه الفارابي واهب للصور ، لانه يهب المواد صورها ولان العقل البشري الذي يعقل المعقولات بالقوة بحاجة الى العقل الفعال لكي يعرف هذه المعقولات بالفعل ·

ان فكرتي العقل الفعال والعقل المستفاد عند الفارابي توحيان بأمور مستقلة عن الارسطاطالية المحضة ، ونعي بذلك تأثره بكتابه الربوبية من أفلاطونية الحديثة·

تلامذته :

ونذكر من تلامذة الفارابي : زكريا يحيى بن عدي المتوفي عام ٣٧٤ هـ ـ ٩٤٧ م وهو فيلسوف نصراني من اليعاقبة عرف بترجمته لكتب أرسطو · وأبو سليمان محمد السجستاني توفي ٣٧١ هـ ٨٨١ م جمع السجستاني في بغداد حلقة من رجال الفكر كانوا يعقدون جلسات ثقافية شهيرة ، لمناقشة اراء وفلسفة الفارابي ، والحقيقة أن خليفة الفارابي الذي اعترف له بأنه معلمه هو ابن سينا ، وكان للفارابي كبير الاثر في الاندلس خاصة على ابن باجة ، وعلى السهروردي ، وأثر بارز على الشيرازي أما أثره الفني والموسيقي في الغرب فكان كبيرا جدا وقد طالعنا مؤخرا مؤلف أفرنسي بكتاب (حول أثر الفارابي في الموسيقى الفرنسية) فاعترف بأن الموسيقى

الفرنسية خاصة ـ الهرمونيك ـ مشتقة بأكثريتها من موسيقى الفارابي ٠

ان ثمة نقاط كثيرة تلتقي في محورها الفلسفة الباطنية مع فلسفة واراء الفارابي وذلك وفق مايلي :
ـ ان الفلسفة الاسلامية الاسماعيلية ترفض تناسخ الارواح رفضا قاطعا ، ونستدل على ذلك ماكتبه أكبر فلاسفتهم ـ الكرماني ـ في كتابي الرياض ٠٠ وميزان العقل وذكر ذلك بالتفصيل في كتابه الشهير المحقق ـ راحة العقل ـ حيث قال : وأما من يرى الجزء مثل محمد بن ذكريا والرازي والغلاة وأهل التناسخ ، وانه أي التناسخ يكون في الدنيا ـ فمن اعتقادهم أن هذه الانفس لها وجود قبل أشخاصها بخلاف اعتقاد الدهرية وأمثالهم ممن ينحون نحوهم والذين يقولون انوجودها بوجود أشخاصها ويقولون أيضا أنها أي النفس جواهر تتردد في الهياكل والاجسام حسب اكتسابها الى أن تصفو وتعود ـ هذه اراء أفلاطونية ـ لقد اوردنا في كتبنا ورسائلنا في فساد قولهم ورددنا على الغلاة وأشباههم في كتابنا المقاييس ، ان استدلالتهم هي منبع الضلال ـ هذا الرأي يلتقي مع الفارابي الذي أنكر بدوره التناسخ بصورة كلية ولم يقل بوجود النفس قبل الاجسام بل النفس هي التي تزرع في الهياكل عند تكوينها في الارحام وتفارقها بعد الموت وتلتقي الفلسفتان في هذه النقطة أيضا فيقول الكرماني : ان الذنوب والمعاصي التي ترتكبها النفس في دنياها ، لولا مشاغلها بأمور جسمها في استعمال الالات التي لها في طلب مقاصدها ومطالبها والهاء الاشغال عنها لكانت تجد الالم في الوجع في ذلتها بواقع أفعالها ـ ٠

ويقول الفارابي في شبه تطابق مع هذا القول ان عدم شعور النفس بالالم بسبب ماتركته من المعاصي مرجعه الى انشغال النفس بالمشاغل التي تلهيها عن الشعور بنتائج سيئاتها ٠

خاتمة البحث :

وفي نهاية هذه الجولة القصيرة مع التراث المثل بمادته الاساسية الفيلسوف الفارابي لابد لنا من القاء الضوء حول بعض المصطلحات الفلسفية الباطنية الغامضة مستهدفين اجلاء هذه الهالة من الظلال التي غلفت تلك المصطلحات وأبهمتها ٠٠ ونستهدف أيضا ايجاز التعريفات وعدم تطويرها والاسهاب بها :

العقل الفعال : يعتبر في نظر الفلسفة الباطنية هو المبدع الاول وهو العاقل للكل ومركز لعالم الجسم من الاجسام العالية الثابتة الى الاجسام المستحيلة المسماة عالم الكون والفساد ٠

العقل بالقوة : فهو الهيولى أو الصورة المنبعثة عن العقل الفعال ٠

النفس الكلية : هي الناطقة كالقوة الفعالة بالذات المنبثقة عن العقل وهي حاضنة الاسرار ويعتمد الباطنيون على قول الرسول العربي (ص) ـ من عرف نفسه فقد عرف ربه أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه ـ ٠

العقل العاشر : فيقوم مقام العقل الاول في أمر تدبير دار الجسم على تلك الصيغة التي قسمت وفق ترتيب مذهبي فلسفي حاولوا فيه الجمع والتوفيق مابين الاراء اليونانية التأويلية مع الشرع الاسلامي الظاهري ٠ وهم بالنتيجة قد نزهوا الله عن صفات الموجودات وجعلوه واجب الوجود وصاحب القوة الكونية الاول الذي فاضت عنه النفوس والعقول ٠

« سلمية » اسماعيل المير علي

المراجع المعتمدة في البحث :

١ ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية ـ هنري كوربان

٢ ـ راحة العقل ـ الكرماني ـ تحقيق الدكتور مصطفى غالب

٣ ـ تاج العقائد ـ الداعي اليمني ـ تحقيق الدكتور البحاثة ـ عارف تامر

٤ ـ اراء أهل المدينة الفاضلة ـ الفارابي

٥ ـ التشيع والتصوف ـ الدكتور ـ مصطفى حلمي

٦ ـ مذاهب الاسلاميين ـ الدكتور ـ عبد الرحمن البدوي

تشكيلات في المفهوم وضده

شعر

عبد القادر الحصني

ـ السقوط :

الاشياء كلها تسقط بمرارة ٠٠ تسقط تعبا وانهزاما ٠

أوراق الاشجار وثمارها لاتقوى على الصمود في وجه الخريف والشتاء فتسقط ٠

« بعض الاشجار يمنع ثمارها من السقوط الجبن فتتهرأ وهي على أغصانها » ٠

الحكومات تسقط تعبا وانهزاما أيضا ٠ بعد أن تخوض حروبا خاسرة على صعيد الاقتصاد والثقافة أو المواجهة العسكرية ٠

لماذا لاتسقط الاشياء بجرأة ؟

وحده المطر يسقط بجرأة وثقة غزيرا قويا تاركا غيمته المحترقة للتلاشي ٠

يسقط المطر بثقة لانه يفهم فلسفة انتمائه بشكل جيد ،

فمجرد صيرورته المطرية تجعله يهوي الى الارض بشوق تاركا انتماءه للسماء ٠ يسقط المطر بثقة لانه يدرك أنه سيعود حتما الى السماء ٠

يدرك أن له مهمة على الارض يهبط لينجزها ، ثم يعود غيمة بعد أن يعاني احتراقا آخر ٠

أجل ٠ حين تفهم الاشياء علاقتها بعضها ببعض بشكل جيد ، فقد ترى في سقوط بعضها شكلا من أشكال البقاء أو بالاحرى من ضرورات البقاء ٠ أما الثمار التي ليس لها نظرية واضحة تحدد علاقتها بالارض وبالشجرة وبالنهر فتحب أن تبقى معلقة فوق ٠٠

لذا تجف ٠٠ ثم تتهرأ وتسقط بقذارة

ـ التنافس :

التنافس تنافسان ٠٠

تنافس صحيح وتنافس مقلوب ٠٠

تنافس يعني الشكل الاسمى للبقاء ٠

وتنافس يعني أوجع أشكال الفناء ٠

تنافس يعني دخول الموجودات في جدل يمثله التكاثف والتساند والعناق ٠

وتنافس يعني دخول الموجودات في جدل يمثله التناحر والصراع والدمار ٠

فأن يكون لانسانين عدد متساو من واحدات الانتاج وهما يحاولان تجاوز هذا العدد فهما في ميدان التنافس ٠٠ وهنا أمامهما شكلا التنافس ، فاذا بذل أحدهما مجهودا اضافيا في خلق واحدة انتاج جديدة لتصير حصيلة أعلى من حصيلة الاخر فهذا هو التنافس الشريف الاسمى ، أما اذا حطم واحدة من واحدات منافسه الانتاجية ليصير هو متفوقا عليه بواحدة فهذا هو التنافس غير الشريف أو التنافس المقلوب ٠ بالتنافس الاول يعلو البنيان ويسمق باتجاه البقاء الاسمى وبالتنافس الثاني ينهدم البنيان ويصير الى الفناء ٠

لكن التنافس الاول مكلف لانه يتطلب واحدات انتاج ايجابية فعلية أكثر مما يتطلبه العمل السلبي - التهديم - في التنافس الثاني ٠٠ فالمتنبي على حق ٠

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

وان نظرة فاحصة الى هذه العلاقة الاجتماعية - التنافس - في الادوار المختلفة لحياة الامم والدول تظهر بجلاء وتؤيد ماذهبنا اليه اذ أن شكلها الاول يسود أدوار النهوض والتقدم وشكلها الثاني يسود أدوار التداعي والتخلف ٠

- القرار

من العبارات التي يرددها الناس هذه الايام قولهم أن الامر لايتحقق بقرار - اذا أرادوا التحدث عن ضرورة انجاز أمر ملح - ٠٠

الا أن عبارة أخرى قد سادت في أيام أخر نقرأها في ثنايا التاريخ وهي : - ان تحقيق هذا الامر يحتاج الى قرار - ٠

ما السبب في انقلاب هذه العبارة رأسا على عقب ؟ لماذا ينظر الى كلمة - قرار - في العبارة الاولى ككلمة قاصرة لايعول عليها بينما ينظر الى كلمة قرار في العبارة الثانية ككلمة تعني الانجاز بعينه ٠٠ ككلمة تناط الفعالية بها ٠ وبالتالي فهي كلمة محترمة في حين أنها مزدراة في العبارة الاولى ؟ السبب هو في أن شتان ما بين كلمة - قرار - في العبارة الاولى وكلمة - قرار - في العبارة الثانية ٠

فهي في العبارة الثانية تعني أن وراءها ارادة حرة يتلازم فيها القول والفعل بينما في التعبير الاول هي تسويد ورق وثرثرة فارغة غير مسؤولة ، وتشير الى أن وراءها ارادة مشكوكا فيها ٠٠ ارادة عبدة

اذن ٠ نحن أمام كلمة تحمل المعنى وضده في زمنين مختلفين ٠٠

أمام كلمة ممتلئة في زمن مفرغة في زمن اخر ٠٠ والسؤال الان هو : أليس فراغ الكلمة من معناها دليلا على فراغ المؤسسات التي تتعامل مع هذه الكلمة وفراغ الشعب الذي يتعامل معها ؟ ألا نتذكر هنا قول كونفشيوس العظيم - « تنهار الامة حين تصير الاسماء لاتشير الى مسمياتها » ٠

● **عبد القادر الحصني**

الأديب العربي بين التراث والمعاصرة

د. حنفي بن عيسى

● كلما فكرت في وضعية الاديب اتذكر كلمة قالها أبو الطيب المتنبي ، منذ حوالي أحد عشر قرنا ، وفي موقف الساخط على الدهر الذي أرغمه ـ وهو الانسان الابي الانوف ـ على مدح قوم لاقيمة لهم ٠ فقد قال ذلك الشاعر المفـــوه :

الـى كـم ذا التخلف والتوانـــي

وكـم هذا التمـادي في التمـادى ؟

وشغـل النفس عن طلب المعالـــي

ببيـــع الشعـــر فـــي سوق الكساد

ولعله ، من القدامى ، الشاعر الوحيد الذي تمردت نفسه على ما سماه صراحة بعملية البيع والشراء ، في سوق يعمه الكساد وليس فيه من يلقى اليك السمع ، أو يلتفت الى ما تقول ٠٠ ومتى بيعت الكلمة ، فقد ذهبت قدسيتها ، وصوحت روضة الشعر واقفرت دوحة الادب ٠

لقد أشار المتنبي الى لون من الادب لم يدله ، في أغلب الظن ، وجود في البلاد العربية وأعنى به أدب الارتزاق ٠٠ أنه قائم على التمسح بأعتاب الطبقة المترفة والتغنى بأمجادها والتقرب من أفرادها ٠ أما اليوم ، فان الاديب ـ لحسن الحظ ـ لا تلجئه الضرورة الى الحالة المحزنة التي وصفها بعضهم ممن هجا المتنبي بالعبارات التالية :

أي فضل لشـــاعر يطلب الفضـــ

ــل من النـــاس بكـــرة وعشيـــا

عاش حينا يبيع في الكوفـة المـــا

ء وحينـــا يبيـــع مـاء المحيـــا

ولقد يقول البعض : ان أدب الارتزاق لاتختص به القرون الغابرة ، بل هو موجود حتى في أيامنا هذه ٠ فالاديب لايزال يرتزق ، أي يطلب الرزق بطريقة أو بأخرى ٠٠٠ والجواب على هذا الاعتراض أن الاديب ، وان كان يحترف مهنة تدر عليه شيئا من المال ، انه على كل حال لايستجدي ولا يطلب الفضل بكرة وعشية ، على حد تعبير الشاعر ، لان علاقته مع القارىء ليست مباشرة كما كانت في السابق ، فهو يتعامل مع الناشر أو مع رئيس التحرير، بخلاف الشاعر الذي كان يرجو المكافأة من القارىء ، اي من

الممدوح ... ثم ان الاديب يستطيع اليوم متى شاء أن يتوقف عن الانتاج ، وأن ينصرف الى ضروب أخرى من النشاط الفكري ، أو من العمل العضلي ، اذا رأى أن مزاولة حرفة الادب لا تدر عليه ما يكفي من المال ، أو تضطره الى المذلة واراقة ماء المحيا . أما في قديم الزمان ، فان الاديب محكوم عليه طوال الدهر أن يبقى رهن اشارة الامير ، وأن يستظل بظله ، وأن يعيش في كنفه وتحت رعايته ...

الا أن هذا لايعني بالمرة أن الظروف تحسنت وأن الاديب أصبح اليوم راضيا عن وضعيته ومرتاحا في عمله، وذلك ان ما سميناه بأدب الارتزاق قد آل به الامر في العصور الحديثة الى لون آخر من الادب لا يقل عن الاول تنكرا للقيم الانسانية والجمالية ، وتهافتا على المادة ، وأعنى به أدب الاستهلاك .

ان المعاصرة - وأعنى بهذه العبارة الجهود التي يبذلها المرء لكي يعد من ابناء العصر - هذه المعاصرة جعلت أكثر الناس يعتقدون بأن أقرب طريق للحاق بركب الانسانية هو التشبه بالغرب في المأكل والمشرب والملبس ، واقتناء بعض المرافق المادية والادوات العصرية ، وتقليد بعض الانماط من السلوك الفكري والثقافي الغربي . وهكذا ، فقد أصبح الشغل الشاغل بالنسبة الى الاقطار النامية وشعوب العالم الثالث هو الازدهار والتقدم المادي ... وبما أن هذه الاقطار والشعوب ليس لها الاسهم قليل في الابتكار والاكتشاف ، لذلك فان هذه الرغبة الملحة في الازدهار والتقدم كثيرا ما تنقلب الى نزعة شيئية ، وأعنى بهذه العبارة حرص الدول المتخلفة على كسب جميع - أشياء - الحضارة وموضوعاتها ، كالسيارة وجهاز الاذاعة وما الى ذلك .. انه لمن الغريب حقا أن يغيب عن أذهان البعض بأن الرفاهية ليست كل شيء في الحياة وان لباس البدلة الانيقة وتوفير المرافق الحديثة لايفي لكي يرقى بالانسان من وضعية المتخلف الى وضعية المتقدم حضاريا .. فنحن اذن نستورد اكثر مما ننتج ..

وبعبارة أخرى ، فنحن ننتمى الى حظيرة الشعوب المستوردة .. وبطبيعة الحال،تستورد السلع والافكار.. الا أننا في أغلب الاحيان نكتفى باستيراد السلع الجاهزة ، ولا نكلف أنفسنا أية مشقة لسلوك دروب الفكر الذي أنتج تلك السلع .

ان هذا الموقف من الحضارة المعاصرة له عواقب وخيمة في مجال الادب . فهذه العقلية السائدة عندنا في التباهي بمصنوعات غيرنا ، والتنافس على كسبها ، جعلت منا شعبا يستهلك منتجات الحضارة . وقد أصبح سلوكنا خاضعا في كثير من مظاهر لهذه العقلية (الاستهلاكية) اذا صح التعبير ، وأخوف ما أخافه أن يكون الادب نفسه قد تحول الى أدب استهلاكي بكل معنى الكلمة .

وأنا لا أقول أن كل ما ينتج عندنا يعد من النوع الرخيص ومن البضاعة المزجاة . ومما لاشك فيه أنه يوجد اليوم في العالم العربي أدباء لا يقلون مقدرة وأصالة عن غيرهم من مشاهير الكتاب في العالم . وانما أقول انني أخشى أن تكون قد سرت الى أدبنا تيارات زائفة شبيهة باللوثة التي حذر منها حافظ ابراهيم في مطلع هذا القرن ، حينما قال دفاعا عن اللغة القومية :

سرت لوثة الاعجام فيها كما سرى
لعاب الافاعي في مسيل فرات

ان الشيء الاهم بالنسبة الى عقلية المستهلك هو اللحظة الراهنة . فكما أن الجائع مشغول البال بأشباع بطنه ، فكذلك الكاتب يتحول الى شخص همه الوحيد حشو الادمغة ، ويعنى بالسفاسف من القول ، والنوادر من الحكايات التي ليس القصد منها سوى التسلية وقضاء الوقت فيما لا يعنى .

من الممكن اذن أن ينساق اديب وراء الحلول السهلة وأن تسول له نفسه الاقتداء بالتاجر والمهندس والطبيب والمحامي ، وغير هؤلاء من أصحاب المهن الحرة . ولقد

يقول في نفسه : ان المهنة التي أمارسها تستلزم من العناء وتتطلب من الذكاء ما يتطلبه ويستلزمه عمل الطبيب والمهندس . فالى متى أظل محروما من نعم الحياة ؟ ... والغريب انه يجد من المجتمع حوله تشجيعا على المضي في هذا السبيل : فأغلب القراء لايميلون الا لما يسمى بالمطالعات الخفيفة .. والناشر سوف يقنعه من طرف خفى ، بأن الكتب المبسطة وروايات الجيب والقصص البوليسية والجنسية ومغامرات الجواسيس ، أكثر رواجا من المؤلفات التي يزال بعض – المتزمتين – يكتبونها فلا يجدون من يقرأها .. ورجال الصحافة والاذاعة والتلفزيون سوف يشعرونه بأنه لا سبيل الى قبول انتاجه الا اذا توفرت فيه بعض الشروط ، وكتب على نمط خاص مقرر سلفا . أضف الى كل هذا ان الادب أصبح اليوم مصنعا بأتم معنى الكلمة . فقد تسربت اليه أساليب لم تكن تستخدم الا في مجال النشاط الاقتصادي كاصدار النشرات المبسطة ، والاقتباس والاختصار وما الى ذلك ... بل أصبحت تعقد اتفاقيات دولية لشراء حقوق الترجمة قبل صدور الكتاب في اللغة الاصلية ، ولا يكاد يصدر ذلك الكتاب حتى تتخاطفه دور النشر بالمزايدة في الثمن .

والترجمة في حد ذاتها ، بصرف النظر عن نواحيها الايجابية ، لا تخلو من جانب استهلاكي ، لانها عملية استيراد للفكر الاجنبي بقصد الاستهلاك المحلي ، على غرار ما تستورد السيارات تماما .

ومما يدل على أن الادب أصبح بضاعة تباع وتشترى ، أن الادباء كثيرا ما يستعملون ، في مجال التشكي ، عبارات لاتستعمل عادة الا في البيع والشراء ، كالسرقة ، والسطو على انتاج الغير ، والقرصنة . ومن أغرب ما سمعته في باب تصنيع الادب،ان بعض المجلات، حرصا منها على الربح ، واستهانة منها بالقيم الفكرية الرفيعة ، تقوم باصدار طبعات خاصة بكل بلد توزع فيه ، وتسمح لنفسها بتغيير انتاج اديب ، بحسب ما تقتضيه الظروف المحلية ، حتى ان أحد المتتبعين للحركة الادبية المعاصرة عبر في أحد المؤتمرات عن الصعوبة التي يجدها في العثور على محتوى النص الاصلي الصادر عن الاديب نفسه ... ولعمري ان هذه العملية تشبه مايعرف في الاقتصاد بالانتاج – الخاص بالاستهلاك المحلي – .

ولعلك بعد هذا تقر معي بأننا لم نحرز في هذا المجال تقدما كبيرا على عصر المتنبي . فأدب الارتزاق الذي كان سائدا في عهده ، وأدب الاستهلاك السائد اليوم في كثير من الاقطار ، انما هما صنوان متشابهان يتحكم فيهما قانون العرض والطلب ، وتشتم منهما رائحة المنفعة العاجلة ، ويتسم كل منهما بطابع الزيف والتفاهة ، وليس في أي منهما شيء من الصدق والاصالة ... وهكذا فان انتحال الشعر ، وتزوير الحقائق وتزييف الادب ، ليس مقصورا على العصر الجاهلي ، كما قد يتوهم قراء الدكتور طه حسين ، بل هو أيضا شيء ملحوظ في – جاهلية القرن العشرين – .

وأنا لا أنكر بعد هذا أن تصنيع الادب لايخلو من جوانب ايجابية ... فمما لا شك فيه أن تطبيق الاساليب العصرية في مجال الطبع والنشر والتوزيع قد كان من أهم العوامل في تعميم الثقافة ، وايصالها الى البيوت ، بحيث أصبح شعار – الثقافة للجميع – ، حقيقة ملموسة ... الا ان اصدار الطبعات الرخيصة ، واخراج الكتب الزهيدة الثمن ، لا ينبغي أن يؤدي الى الاسفاف بالادب ، والنزول به الى الدرك الاسفل ، من حيث القيم الفنية والفكرية التي يحتوى عليها .

ولذلك كله ، فنحن نتساءل : ما هي الضمانات التي يجب أن تتوفر حتى لاتتغلب الاعتبارات المادية على القيم الادبية المحضة ؟ وما هي الحدود التي لايجوز أن يتعداها الحرص على الربح ، لكيلا يطغى على الادب الرفيع ؟

وهنا اتى الى الحديث عن لون اخر من الادب ، هو الذي أراه أجدر بهذه الامة ، واليق بها في هذه الفترة

الحرجة من تاريخها . وهذا الادب أسميه ـ أدب الظروف الطارئة ـ أو ـ أدب الاحداث الجسام ـ ، ويسميه البعض بأدب النضال أو أدب الالتزام ... ومهما اختلفت التسميات ، فان الشيء المؤكد هو ان معركة المصير في حاجة الى أن يساندها الكتاب والشعراء والفلاسفة والمفكرون ... فكما أن الدول تحول اقتصادها في ساعة الخطر الى ما يسمى باقتصاد الحرب ، فكذلك الاديب ، ينبغي أن يشعر ، عندما تعلن حالة الطوارىء ، بأنه مجند للقيام بدوره في التوعية وفي معركة المصير بالذات .

ولكنني ، قبل الخوض في هذا اللون الثالث من الادب ، أحب أن أمهد له ببعض من الخواطر ، فيما فهمته من عبارتي ـ معركة المصير ـ .

ان كلمة ـ المصير ـ تتضمن معنى الصيرورة في الزمان ، ولذلك فسوف أستطرد قليلا لاتحدث عن مفهوم الزمان عند العرب .. فلامر ما ، لايوجد في لغة الضاد سوى الماضي والمضارع ، بينما نجد أن الشعوب الاخرى تحدد فكرة الزمان بالماضي والحاضر والمستقبل .. ولكن المسألة لاتقف عند هذا الحد ، بل تختفى وراءها فلسفة عميقة لمن أراد أن يبحث في مكونات الالفاظ . أن ما مضى من الافعال والاعمال انما يمثل بالنسبة الى تاريخ الحضارة ، التراث الثقافي ، لان تلك الافعال ان هي الا أعمال أجدادنا وتصرفاتهم وانماط سلوكهم في هذه الحياة .. وكما أن الفعل الماضي في عرف النحاة ، مبنى ، أي ملازم لحالة واحدة ، فكذلك التراث الثقافي ، يمثل القيم الثابتة التي لاتتغير ، ومن واجب الانسان ان يحافظ عليها ، وأن يقاوم كل محاولة لطمس معالمها ، لانها بمثابة الاساس في بناء صرح الحضارة .. وكما ان الفعل المضارع في عرف النحاة معرب ، أي متغير الاخر ، فكذلك الاعمال التي نقوم بها في الحاضر أو في المستقبل لا تثبت على حالة واحدة لانها متعلقة بالنية في مواصلة المشروع الى النهاية ، أو العدول عنه كلية أو التراجع في بعض اجزائه .

ان مفهوم المضارعة عند العرب شيء طريف حقا ، وذلك ان العرب لايقيدون أنفسهم بالحاضر ، مادام هذا الحاضر صائرا الى المستقبل . بموجب حتمية التاريخ الزاحف ، وبمقتضى الفلك الدائر ، والزمان المتجدد السائر .. فالواحد منا لايكاد يعي نفسه في اللحظة الراهنة حتى تكون تلك اللحظة قد انقضت وحلت محلها اللحظة التالية . ومعنى ذلك ان فلسفة العرب قائمة على الصيرورة أي على تحقيق المصير ، انطلاقا من الماضي الذي يحمل القيم الثابتة ، وانطلاقا كذلك من الحاضر الذي يتضمن المستقبل وينصب فيه .. على أن الحاضر انما يمثل في عمر الزمان نقطة تحفز الى المستقبل ، لان العربي انسان لا يرضى بحاضره ، بل يظل دائما محدقا في الافق ، متلمحا معالم المستقبل ومتربصا متى يشرق الفجر عن نهار ضاح .

ان الحاضر يتجسم في وضعية لابد من تجاوزها الى وضعية أحسن منها ، فاذا ما بلغت تلك الوضعية الجديدة ، فلابد من السعي لقطع اشواط أخرى في مسيرة التاريخ الزاحف . واذا كان الواقع هزيمة ، فمن واجب الاديب أن يأخذ بيدنا لتجاوز الحاضر المكفهر ، والتعلق بمستقبل باسم ، وعقد الامل في النصر النهائي .

ان معركة المصير تفرض على الاديب أن يكون عاملا فعالا في عملية التحويل الاجتماعي وفي تغيير الواقع الذي يعيشه الشعب ، وفي تحسين ظروف المعيشة وتهذيب انماط السلوك وتهيئة الجو المناسب للثورة الثقافية .

●

ان الجزائر التي خاضت بالامس غمار الثـورة المسلحة المظفرة ، قد أعلنت على لسان قادتها الميامين ، بأن تلك الثورة المباركة لاتكتمل الا اذا ساندتها ثورات ثـلاث هي : الثورة الثقافية ، والثورة الزراعية والثورة الصناعية وأنا أعتقد أن كل واحدة من هذه الثورات الاربع هـي معركة المصير بالذات ، لانها تعبر عن عدم الرضى بالحاضر وتحقق التوازن بين التعلق بالتراث من جهة ، والاستجابة لمقتضيات العصر من جهة أخرى ٠

ويظن البعض أن مفهوم الثورة الثقافية مستورد ، وان عبارات ـ النهضة والتوعية والتمسك بالشخصية ، وتصحيح الوضع الثقافي ، والصراع العقائدي ، والتبعية الثقافية ـ ، ان هي الا كلمـات مقولبة اذا صـح التعبير ، أي انها وضعت على غرار مثيلاتها الاجنبية ٠٠ وربما نسى أكثر الناس أن الثورة الثقافية التي أحدثها العرب والمسلمون منذ خمسة عشر قرنا ، ليس لها مثيـل في تاريخ البشرية ٠

بطبيعة الحال ، لا يتسع المقام للدخول في تفاصيل هذا الموضوع ، وانما اكتفى بالاشارة الى أن الايـة الكريمة التي تقول :

« أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » صدق الله العظيم ٠

هذه الاية هي التي دفعت العرب في انطلاقة عبـر الزمان والمكان ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا ٠٠٠ ففـي تلك الاية ، بصيغة الامر الذي وردت به حث صريح على القراءة ، وارشاد الى سبل المعرفة واشارة الى أن صـرح الحضارة لايمكن أن يبنى الا اذا استعمل القلم ـ علـم بالقلم ـ ، أي أن الحضارة لن تزدهر الا اذا انتقلت البشرية من مرحلة الرواية الشفهية الى مرحلة تـدوين المعلومات ، وتسجيلها على القرطاس ٠

ولابد من الاشارة الى أن هذه الايات التي استشهدت بها هي أول مانزل من القران ، وذلك دليل قاطع على أهمية القراءة في الحياة ٠ وبما أن العلاقة بين الكاتب والقارىء علاقة صميمية ، بحيث أن الادب لايزدهر الا اذا وجـد اقبالا من طرف القراء ، لذلك فاني سوف استطرد مـرة أخرى لاتحدث قليلا عن أهمية القراءة في هذه المرحلـة الحاسمة من تاريخنا ٠

●

ان المعاصرة أصبحت تفرض على كل من يريد أن يكون ابن عصره ، أن يتتبع باستمرار ما يجري فـي العالم من أحداث ، وأن يطالع الجرائد والمجلات ، وينكب على دراسة التقارير والملفات ، ويقرأ القصص والروايات والمسرحيات ، ويقبل على كتب الثقافة والعلم ٠٠ أضـف الى ذلك كله ما يتلقاه من رسائل ، وما يصادفه في الطريق من لافتات وما يراه ملصقا على الجدران من اعلانات ، فلا يجد مناصا من قراءة كل ذلك ٠٠٠ وهذا الامـر يستوجب على من يريد أن يكون ابن عصره ، أن يتوخى طريقة في القراءة تمكنه من أن يطالع أكبر قدر ممكن ٠٠٠ وقد وجد بعض الباحثين أن السرعة في القراءة يمكن أن تتحسن بالتدرب والمران ٠ وهذا موضوع اخر ، ويكفينـا أن نقول بأن المطالعة أصبحت من أوكد الواجبات بالنسبة الى معركة المصير ٠٠٠ ولابد هنا من الاقرار بحقيقـة مريرة ، وهي أننا لانزال مقصرين في المطالعة ، واننـا نعاني أزمة قراء ٠٠ أو ليس من المؤسف أن نرى بعض أنصاف المثقفين عندنا ، يقبلون على شراء مختلف أنواع الاثاث ، وتجهيز بيوتهم بمختلف الادوات العصرية ، ومواعين الطبخ الحديثة ، والات التسلية ، الا أنك تراهم يهملون ركنا أساسيا في البيت ، الا وهو المكتبة ؟ ٠٠ أن أكثر الناس ، للاسف الشديد ، يتباهون بما لديهم من أثاث ، وقلما يتباهون بما لديهم من كتب ٠٠ ان تأسيس

المكتبة في كل بيت ، يعود ببلادنا الى تقاليدها العريقة في حب العلم ، ويخلق جوا مناسبا للثورة الثقافية ٠

ان الادباء هم جنود هذه الثورة وطلائعها،وروادها٠ وينبغي أن يقوموا بدور أساسي في التوعية ٠ وكيف يكون للاديب جمهور يتابع انتاجه اذا لم يكن الشعب متعلما واعيا ؟ ولذلك فالثورة الثقافية قائمة ، أولا : على محو الامية بجميع أشكالها وثانيا على مقاومة الخرافات والاباطيل التي الصقتها جاهلية القرن العشرين بالدين وبالتراث القومي ، وثالثا على تصحيح الوضع الثقافي الراهن ، خاصة في الاقطار التي عرفت ليل الاستعمار ، وتعرضت للغزو الثقافي ونكبت في أعز شيء لدى الانسان ، الا وهو اللسان ٠ ورابعا على التفتح ٠ وأحب أن أشير الى أن التفتح لا يمكن أن يكون سليم العواقب الا اذا حصل في اتجاهين : تفتح على الداخل وتفتح على الخارج ، وذلك ان كثيرا من الناس يتوهمون أن التفتح عملية شبيهة بفتح النافذة لكي تطل منها على الخارج ٠٠ وأنا أقول بأن عيوننا ينبغي أن تكون مفتحة قبل كل شيء على تراثنا القومي : فكل ما يلهج به الشعب من أغان وأمثال وحكايات ، وقصص تروى البطولات ، كل ذلك ينبغي أن يعتبر من الروافد الزاخرة التي تصب في نهرنا الخالد ألا وهو لغة الضاد ٠ أما موقف الاستعلاء والترفع على التراث الشعبي ، فقد استنكره ابن خلدون بعبارات لاتزال الى حد اليوم تحتفظ بجدتها وطرافتها ، فهو يقول دفاعا عن اللغات السائدة في عهده :

ولا يلتفتن الى خرشفة النحاة ، أهل صناعة الاعراب ، القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربي فسد ، اعتبارا بما وقع في أواخر الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه ٠٠٠ وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألقاها القصور في أفئدتهم ٠

وبعد أن وصف ابن خلدون من يترفع على لغة العامة بقصور العقل ، أخذ يتحدث عن اللغات الدارجة في عهده بالعبارات التالية : ـ أعلم أن عرف التخاطب في الامصار بين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ، ولا بلغة أهل الجيل ، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها ٠٠٠ وهي تختلف باختلاف الامصار : فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب ، وكذا أهل الاندلس معهما ٠٠٠ وكل منهم متوصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه ، وهذا معنى اللسان واللغة ٠ وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم ٠ »

ان دفاع ابن خلدون عن اللغة العربية السائدة في عهده ، ثم عن اللغة العامية يدل على أن جرأة نادرة ، خاصة اذا عرفنا أننا لا نزال الى حد اليوم نتحاشى الخوض في هذا الموضوع مخافة ان نتهم بالدفاع عن العامية على حساب الفصحى ٠

ان سوء التفاهم بالنسبة الى لغات العامة والترفع عنها ، ناشئان عن كون الناس لايفرقون عادة بين اللغة واللسان ٠ فاللغة ، كما هو معروف ، مشتقة من لغا يلغو ، أي قال كلاما لايعتد به ، ولذلك فهي تختلف باختلاف المكان ، وتتطور على مر الزمان ٠ أما اللسان ، فهو ثابت لايتغير ، وهو النموذج الامثل للغات ٠ وبعبارة أخرى فان تطور لغات العرب في اطار اللسان العربي يشير الى التنوع والتجدد والانبعاث المتواصل ٠ وما دامت جميع هذه اللغات أو اللهجات تصب كلها في بحر اللسان العربي، فانها مصدر ثروة فكرية لاتقدر بثمن ، لان اللغات على اختلافها هي التي تكشف عن دروب الفكر الملتوية ولويناته الخفية ، فهي له كالاداة ، وهي له كالقالب ٠٠٠ وما ابشع الحياة اذا كانت أدوات الفكر محصورة العدد ، وقوالبه جامدة لاتتغير ٠

ولعلك تسالني بعد هذا : مادخل الاديب في هذه

القضايا اللغوية ؟ ولماذا لانترك أمثال هذه المسائل لفقهاء اللغة وللنلحات ؟ والجواب على ذلك ان الاديب لايمكن أن يعزف عن هذه القضايا لانها شديدة الصلة بمهنته ، ولان اللغة هي أداته في التعبير عما يجيش في ذهنه من خواطر ٠

●

وأحب أنأ شير هنا الى أن مفهوم الادب لايزال عندنا محاطا بهالة من التقديس ، مما يدعو الى الاعتقاد بأن الادب قائم على أفكار بورجوازية ٠ فالاديب عندنا هو من يحمل الالقاب العلمية العليا ٠٠٠ هو فلان ٠٠٠ الحائز على الماجستير والدكتوراه ٠٠٠ هو فلان ، عضو مجمع اللغة ٠٠٠ وهكذا ، فقلما تجد من يطمئن الى كفاءة الاديب اذا لم يكن هذا الاخير مزودا بأسمى الالقاب ٠ والسبب في ذلك أن الادب لايزال عندنا حرما يقوم دون بابه سدنة يشددون عليه الحراسة ، ولا يسمحون لاي أحد بالدخول مالم تتوفر فيه شروط لايحصيها العد ٠ ولعلهذه الصعوبة في دخول محراب الادب هي التي جعلت في القديم الشاعر عمار الكلبي يتضجر من النحاة ويندد بهم بالعبارات الاتية :

ماذا لقينا من المستعربين ومن
قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافية بكرا يكون لها
بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنت وهذا ليس منتصبا
وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

أننا بطبيعة الحال لانرى رأى هذا الشاعر الذي تحامل على النحاة ، بل لانوافقه على تذمره من النصب والرفع والجر ، وانما يهمنا أن نسجل بأن هذا الشاعر بحديثه عن ـ المستعربين ـ ، قد استحدث مصطلحا جديدا هو ـ الاستعراب ـ ، وربما أراد أن يشير بهذه العبارة الى نوع من التزمت والجمود في معالجة قضايا اللغة ٠ وهو في هذا على صواب ، فمن الناس من همه الوحيد هو تتبع هفوات الكتاب من الناشئة ، وتبيان نقائصهم وزلات أقلامهم ، لا بقصد التشجيع وتسديد الخطى وتقويم الاعوجاج ، بل بقصد تثبيط العزائم ، وأيهام الشباب بأن حرم الادب مقدس ، ولا يدخله الا المقتدرون من الكتاب والعباقرة ٠٠ وهذه لعمري غلطة فادحة ، وجناية في حق الثقافة والادب ٠٠ لقد أصبح الشعار القائل ـ الثقافة للجميع ـ ، حقيقة ملموسة في كثير من الاقطار، وينبغي أن يصبح الشار الثاني ـ الادب للجميع ـ ، من الحقائق الملموسة أيضا ٠

ان الشرط اللازم والكافي ـ كما يقول علماء الرياضيات ـ ان الشرط اللازم والكافي بالنسبة الى الاديب ، هو أن يدلى بشهادته في مايرى ويسمع ويحس ، فما المانع اذن في أن يكتب أي مواطن ، ولو كانت ثقافته بسيطة ـ عما عاناه من التجارب ؟

لماذا نقيد الحركة الادبية عندنا بقيود الصناعة اللفظية والاساليب العتيقة ؟ لقد تعودنا أن نقرأ ما يكتبه حملة الشهادات العليا ، وأصحاب الجاه والسلطة ، فمتى نسمع وجهة نظر العامة من الناس ، في حديثهم عنمختلف

شؤون الحياة ؟ ومن الجدير بالذكر أن ميدان الادب لم يعد في بلاد الغرب مقصورا على النخبة المثقفة ، بل كثيرا ما نبغ في سماء الادب قوم نشأوا في بيوت القصدير، ولم يعرفوا طوال حياتهم سوى البؤس والشقاء .

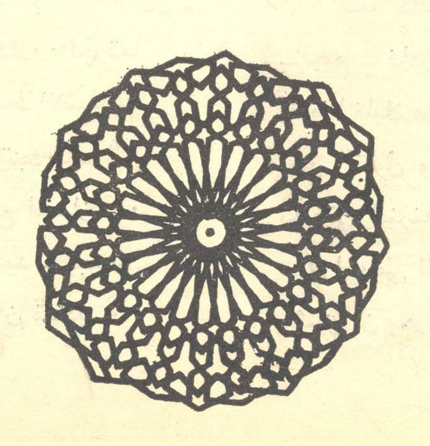
وأما التفتح على الخارج ، فهو مكمل للتفتح على الداخل ، ولا يستقيم بدونه ... وذلك أن الانسياق بدون تحفظ وراء الاتجاهات الاممية فيه خطر كبير على تماسك الشخصية القومية . فالتفتح على الخارج له محاذير كثيرة اهمها ان الخارج هو دائما مصدر لحملات التضليل .. فمن واجب الاديب أن يفضح بعض المذاهب الادبية التي لاتتفق مع عبقرية العرب في الخلق والابداع الفني ، وأن يقاوم بعض الاتجاهات السائدة عندنا ، وخاصة منها تلك التي تدعو الى التبعية الثقافية ، بدعوى أننا متخلفون في الميدان التقنولوجي .

وهذا لا يمنع من القول بأن تطعيم الادب القومي بالاداب العالمية شيء ضروري ، لان قلب الانسان هو منبع العواطف والاحاسيس ... والحس كما يقول ابن جنى - طريق تتلاقى فيه طباع البشر ويتحاكم اليه الاسود والاحمر . - ومعنى ذلك أن هناك مجالا للتقارب بين الشعوب والاجناس ، مادام القلب الذي يحس ، واحدا لدى الانسان ، مهما كان لون بشرته .

ثم ان التفتح يفرض على الاديب المعاصر أن يتجاوب مع جميع المعذبين في الارض .. فأينما كانت الحرية ذبيحة ، وأينما حشد الانسان أخاه الانسان في السجون والمعتقلات ، ينبغي أن يرتفع صوت الاديب ليندد بالصهيونية والاستعمار والامبريالية وجميع القوى التي لاتزال الى حد اليوم تطبق أساليب التعذيب الوحشي وتستعبد الشعوب وتعكر صفو العلاقات بين الامم .

لايزال أمام الادباء العرب مجال كبير لتوسيع دائرة قرائهم ، والخروج من نطاق العالم العربي الى الميدان الدولي . فعليهم تقع مسؤولية النهوض بلغتهم لا في بلادهم فحسب - لان ذلك أضعف الايمان - بل في جميع الاقطار التي ارتفعت فيها راية العروبة عندما حملنا مشعل الحضارة . ولا ننس أخيرا أن تراثنا المجيد ، بما فيه من قيم روحية رفيعة ، هو الذي ضمن للغة قريش الانتشار في المكان والديمومة عبر العصور والازمان .

حنفي بن عيسى



هدية المجوس

ترجمة : سيف الدين خليل
قصة : أوهنري

دولار واحد وسبعة وثمانون سنتا ، منه ستون سنتا عبارة عن بنسات ، وكان هذا كل ما ادخرته ديلا وهي تساوم البقال والسمان واللحام . لقد كان خداها يحترقان من حمرة الخجل ، وهي تقرأ أفكار أولئك الباعة .. لاشك أنهم يتهمونها بالبخل الشديد . عدت المبلغ مرات ثلاث ، ولكن لم يكن ليزيد أو ينقص . فدخلت في حوار نفسها : « غدا عيد الميلاد .. أجل انه عيد الميلاد » .

استلقت على سريرها الرث الصغير وهي تبكي ، حيث لم يكن بامكانها أن تفعل شيئا اخر .. حاولت أن تثير تلك الفكرة الفلسفية والتي تقول بأن الحياة مزيج من الدموع والشهقات والابتسامات . ألقت نظرة على الغرفة وقد نضبت مقلتاها من الدموع بعد أن سكبتهم بغزارة ، ثم تتالت شهقاتها .

ان عهدها بالشقة التي تقطنها ليس بعيدا .. أجرتها ثماني دولارات في الشهر .. مؤثثة بأبسط الاثاث وأرخصها .. في مدخلها صندوق للبريد لم تجد الرسائل طريقها اليه ، وزر كهربائي لم تلامسه اصبع انسان .. بطاقة علقت في أعلى الباب تحمل اسم السيد - جيمس ديلنغهام يونغ - . وقد اعتادت - ديلا - أن تناديه : - جيم - حالما يرجع للبيت ، ثم تعانقه عناقا حارا .

حينما تلاشت شهقاتها ، مدت - ديلا - يدها تتناول قطعة من القماش تمسح بها الدموع من على وجهها الجميل ،ووقفت بعد ذلك بجانب النافذة تنظر بفتور الى قطة كئيبة تمشي على سياج رمادي في باحة باهتة . ثم تذكرت مرة أخرى أن اليوم التالي هو عيد الميلاد ، وليس لديها سوى دولار واحد وسبعة وثمانين سنتا والذي به ستشتري هدية لـ - جيم - . وأية هدية تستطيع أن تشتريه بهذا المبلغ الزهيد . أحست أن قلبها يعتصر من شدة الالم . كم قترت على نفسها وحاولت أن تعتصر وتوفر ، لكن النفقات الضرورية تبتلع مخططاتها ، نظرا لدخل زوجها الذي يبلغ عشرين دولارا في الاسبوع .

انها كانت تخطط أن تشتري شيئا جميلا لحبيبها - جيم - نادرا و نفيسا - أصيلا ورائعا .. شيئا ما يقربها قليلا من شرف كونها زوجة له . فجأة ، أفاقت من بحر التأمل واندفعت تقف أمام المرآة المحصورة بين نافذتي الغرفة . مراة خاصة بشقة أجرتها ثماني دولارات في الشهر . حيث لا يستطيع الا شخص نحيف رشيق أن يحرز ادراكا دقيقا لمظهره الا بملاحظة انعكاساته

في سلسلة سريعة من الخطوط الطويلة ٠ لكن ـ ديلا ـ كانت قد أتقنت هذا الفن لكونها خفيفة الحركة ، نظرت الى وجهها فوجدت عينيها تشعان ببريق حاد ، لكن وجهها كان قد فقدنضارته وبهاءه ٠ أسدلت شعرها الطويل على جسمها ، فنزل متماوجا رقراقا يشكل لها ثوبا رائعا ٠ ثمة شيئان يفتخر بهما جيمس وديلا ٠ الاول هو ساعة جيمس الذهبية والاخر هو شعر ديلا والذي يتموج ويشع كشلال من الماء ٠ مدت ديلا يديها الى شعرها بلمسة رقيقة وكأنها تريد أن تودعه ، ثم راحت تجمعه فوق رأسها ، ووقفت جامدة بينما انحدرت من عينيها دمعتان فوق السجادة الحمراء المهترئة ٠

لبست سترتها البنية القديمة ، ثم وضعت قبعتها التي رسم القدم عليها اثاره على رأسها ، واندفعت من الباب تنزل الدرج متجهة الى الشارع ٠

استوقفها محل كتب عليه ـ مدام سوفروني ٠ بضاعة الشعر من كل الانواع ـ ٠ أسرعت تتسلق السلم الى الاعلى ، ثم حاولت أن تضبط نفسها وهي تلهث ٠

كانت السيدة سوفروني ضخمة ، بيضاء جدا ، منفرة ، نادرا ماتشبه عائلة سوفروني ٠ سألتها ديلا قائلة :

ـ هل تشترين شعري ؟

أجابت السيدة ببطء :

ـ نعم أشتري الشعر ٠ اخلعي قبعتك ودعيني ألقي عليه نظرة ٠ وما ان ازاحت القبعة عن رأسها حتى بدأت خصلات شعرها الاسود الجميل ينسدل على جسمها ٠ امتدت أنامل السيدة المتدربة الى الشعر ثم قالت :

ـ عشرون دولارا ٠

لقد كانت ديلا على عجلة من أمرها ، فهي لم تساوم ، ولم تعرض شعرها في دكان اخر ، بل مدت يدها نحو السيدة وكأنها لاتستطيع أن تصدق ذلك ، ثم قالت :

ـ ناوليني المبلغ بسرعة ٠

ثم أمضت ـ ديلا ـ ساعتين من الوقت على أجنحة السعادة الوردية ، تفتش المخازن بتدقيق من أجل هدية لجيم ٠ وبعد طول بحث استطاعت أن تجد الهدية المناسبة ٠ انها صنعت لجيم ولا لغيره ٠ حيث لم يكن يوجد مثيلها في أي مخزن اخر ٠ انها سلسلة من البلاتين ، بسيطة في تصميمها ، تصرح عن قيمتها بمادتها وليس بالزخرفة السطحية المبهرجة ٠ شأنها شأن الاشياء الطيبة النفيسة ٠ حقا أنها جديرة بساعته ٠ حالما وقعت عليها عيناها عرفت انها يجب ان تكون لجيم ٠ فهي تشبهه في هدوئه وقيمته ٠ دفعت احدى وعشرين دولارا ثمنا لها ثم أسرعت للبيت حاملة معها سبعة وثمانين سنتا ٠٠ لن يعود جيم قلقا بعد اليوم حول الوقت برفقة أي شخص كان ٠ حيث كان ينظر الى ساعته بسبب رباطها الجلدي القديم والذي كان يستعمله بدلا من السلسلة ٠

حينما وصلت ـ ديلا ـ البيت فان نشوتها فسحت المجال قليلا للحكمة والمنطق ٠ فأخرجت مصففات الشعر ، ثم بدأت تعمل لتصليح التلف الذي سببه يد الكرم مضافا اليه الحب ٠ وفي غضون أربعين دقيقة كان رأسها مغطى بحلقات صغيرة متقاربة وهذا ما جعلها تبدو كطالب مدرسة يتهرب من أداء واجباته نظرت في المراة طويلا بعين الحرص والانتقاء ٠ وتمتمت لنفسها :

ـ ان لم يقتلني جيم من النظرة الاولى ، فانه سيقول انني ابدو كفتاة من فتيات كورس ـ كوني ايلند ـ ٠ اه ٠ لكن ماذا كان ينبغي أن أعمل ؟ وما الذي أستطيع فعله بدولار وسبعة وثمانين سنتا ؟

وفي الساعة السابعة جهزت القهوة ، ووضعت المقلاة على ظهر المدفأة تستعد لتحضير شرحات اللحم ٠ لم يكن جيم معتادا على التأخير مطلقا ٠ فجلست ديلا على زاوية الطاولة تنتظره وقد طوت السلسلة في يدها ٠طرق سمعها وقع أقدام على الدرج في الطابق الاول ، فاختلف لون وجهها للحظة وبدأت ترتل صلواتها التي اعتادت عليها حتى في أبسط الامور اليومية ،فهمست :«أرجوك يا الهي أن تجعله يعتقد أنني لازلت جميلة »

فتح الباب ،ثم دخل جيم يبدو عليه النحول والجدية ٠٠ يا له من مسكين !عمره اثنان وعشرون سنة وقد

أرهقته متطلبات الاسرة ٠٠ انه بحاجة الى معطف جديد ٠٠ وليس لديه قفازات ٠

بدا عديم الاحساس ، فاقد الهمة ٠ ثبت عينيه على ديلا وفيهما تعبير لم تستطع أن تقرأه ٠ انه لم يكن غضبا ، ولا دهشة ، ولا عدم استحسان ، ولا رعبا ولا أيا من العواطف التي كانت ديلا قد أعدت نفسها لها ٠ حملق فيها بثبات ولازال ذلك التعبير الغريب على وجهه ٠ فقفزت ديلا من على الطاولة ومشت باتجاهه ثم انحبت وهي تصيح : ـ جيم ، ياحبيبي ، لاتنظر الى بهذه الطريقة ، لقد بعت شعري لانني لم أستطع أن أعيش عيد الميلاد دون أن أعطيك هدية ٠ انه سينمو قريبا ، أليس كذلك ياجيم ؟ لن تهتم بالامر ٠ هل سيزعجك هذا ؟ لم يكن لي بد من القيام بهذا العمل ٠ قل لي : عيد ميلاد مجيد ودعنا نكون سعداء ياجيم ٠ ألا تعلم بعد مدى روعة وجمال الهدية التي أحضرتها لك ٠

قصصت شعرك ؟ سألها جيم بجدية وكآبة ، وكأنه لم يدرك تلك الحقيقة بعد ٠

قالت ديلا : قصصته وبعته أيضا ٠ الا تحبني؟ الان ديلا هي نفسها حتى دون شعر ٠

أجاب بشيء من البلاهة : تقولين أن شعرك قد ذهب ؟

قالت ديلا : لاحاجة بك للبحث عنه ٠ أقول لك انني بعته ٠٠ انما عشية عيد الميلاد ، كن طيبا معي ٠ لقد بعت الشعر من أجلك ٠

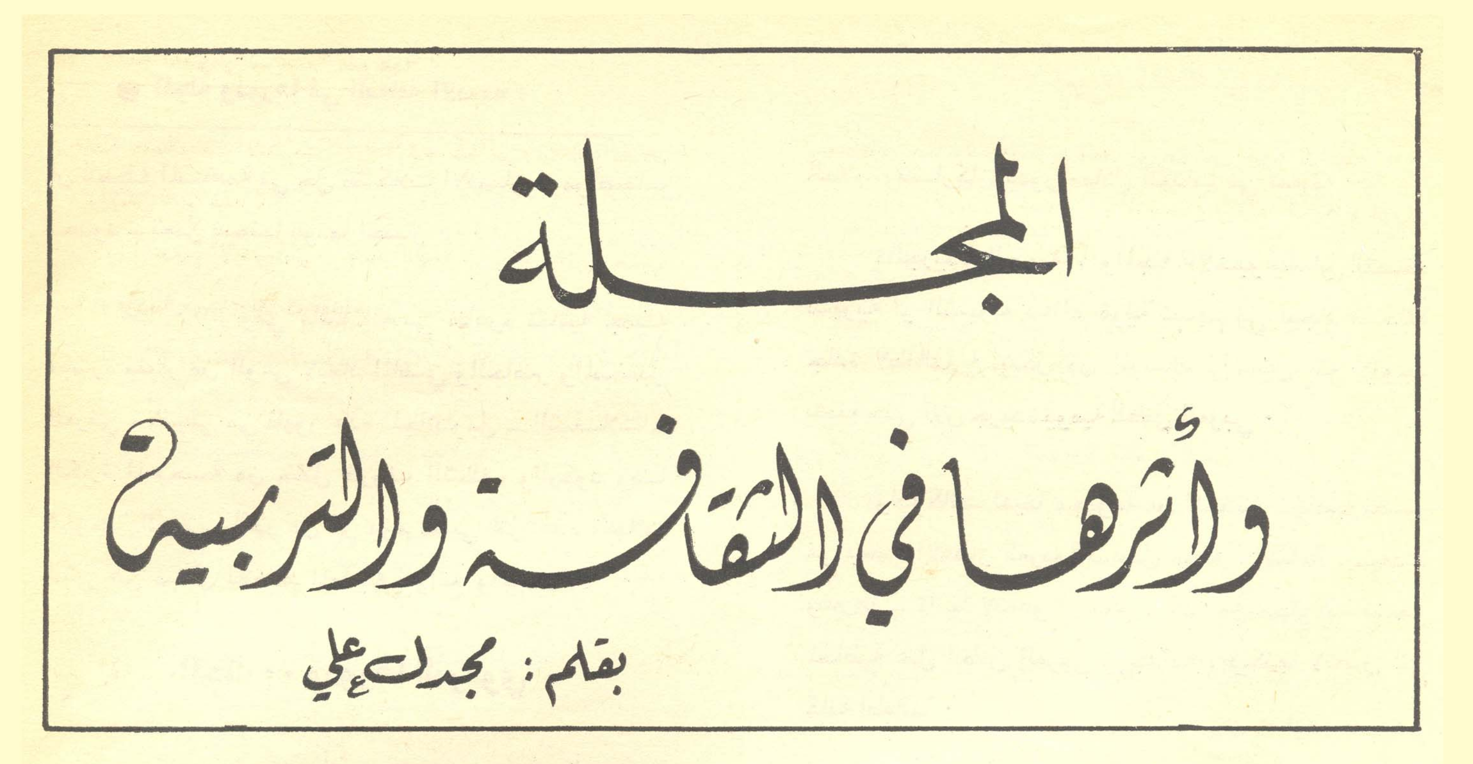
ثم أضافت بجدية رخيمة : انه بالامكان احصاء شعر رأسي ولكن لا أحد يستطيع أن يحدد مدى حبي لك ٠ هل أبدأ الان بتحضير شرحات اللحم ؟

بدا جيم يستفيق سريعا من غشيته ، فعانق حبيبته ديلا وقال : دعينا نتفحص بحكمة بعض الشؤون التي لا علاقة لها بهذا الامر ٠ فثماني دولارات في الاسبوع أو مليونا في السنة لن ينقصا أو يزيدا من حبنا لبعضنا ٠ ثم سحب من جيبه ربطة والقاها على الطاولة وقال : الان ستعلمين سبب دهشتي بعد أن تفكين هذه الربطة ٠

بدأت أناملها البيضاء والرشيقة تقطع الخيط والورق بسرعة ٠ ثم أطلقت صرخة سعادة مصحوبة بعويل ودموع النشوة ٠ انها مجموعة الامشاط التي كانت ديلا تعيدها ٠ أمشاط جميلة من صدف السلحفاة النقي ذات حواف مطرزة بالمجوهرات ٠ علمت أنها ثمينة وغالية ٠ تاقت اليها بقلبها مرات دون أن يتسرب الى نفسها أدنى أمل في الحصول عليها ٠ وهي الان ملكها ، لكن خصلات شعرها التي اشتاقت لهذه الامشاط البديعة قد تلاشت من عالمها ٠ عانقتها ديلا وهي تقربها من قلبها ، ثم نظرت وابتسامة فاترة ترتسم على شفتيها وقالت وكأنها تعزي نفسها : ان شعري ينمو بسرعة ياجيم ٠ وفجأة تذكرت شيئا ، فقفزت كقطة أحرقتها النار وصاحت : اه ٠ ان جيم لم ير هديته الجميلة بعد ٠ ثم مدت اليه يدها بشغف وعلى باطن كفها بدا ذلك المعدن الثمين الباهت وكأنه يعطي بريقا استحدثه من روحها المتوهجة المتألقة : أليس شيئا ممتازا ياجيم ؟ لقد قلبت المدينة رأسا على عقب حتى وجدتها ٠ ناولني ساعتك ٠ أريد أن أرى كيف تبدو عليها السلسلة ٠ لم يطعها جيم ، بل ألقى بنفسه فوق السرير وابتسم يقول : دعينا أن نبعد عن أذهاننا هدايا عيد الميلاد ٠ اننا لانستطيع أن نستعمل هذه الهدايا في الوقت الحاضر لانها رائعة ٠ لقد بعت الساعة لاتمكن من شراء الامشاط ٠ والان ضعي شرحات اللحم على النار ٠

ان المجوس كما تعلمين ، أناس اشتهروا بالحكمة ، حكماء بحق ، حيث كانوا يحضرون هداياهم للمسيح وهو في معلف الدابة ٠ فهم الذين اخترعوا هدايا عيد الميلاد ٠ ولكونهم حكماء ، فان هداياهم لم تكن لتقل عنهم روعة ٠ وها نحن الاثنين تصرفنا على غير هدى وضحى كل منا بأعظم ما يملك ٠ ويمكنني أن أتوجه بكلمة الى حكماء هذا العصر أقول لهم : ان حكمتنا في اعطاء الهدايا فاقت حكمة كل الناس الذين يعطون ويتلقون هدايا ٠ حتى أستطيع أن أقول أننا نحن المجوس ٠

سيف الدين خليل



الصحافة أداة لبث روح التالف وللتآخي .

وهي ـ اي الصحافة ـ على حسب اعتقادي كالمراسلة ، تفاهم بين الشعوب .

بالاضافة الى أنها تلعب دورا اساسيا وهاما في اذكاء نار الثورات ، ونشر مفاهيمها وبث الحماسة الثورية لدى الجماهير الثائرة ...

وهي : الوجه الثقافي للامم قاطبة باجمل صورة وانبل اشراقاته ..

والمجلة بنت الصحافة .. لماذا ؟؟ لانها سفينة النجاة من طوفان الجهالة ، ونزهة العقل وبستانه وغذاء عقلي لكل انسان لبيب ، كما ثبت انها تعد وسيلة رقي الانسان الثقافي ، وملتقى الابداع الانساني .

وهي ـ اي المجلة ـ فوق كل هذا : اداة من أهم ادوات الوعي التثقيفي والتعليمي تشكل ركنا هاما فهي بمثابة مدارس فكرية سيارة ، ينهل منها القراء ويشكلون ثقافتهم الرفيعة التي تساعدهم على مهارات علمية وعملية تؤهلهم لارتقاء سلم التوفيق ... (١) .

فالمجلة كما وصفها احد المحررين العالميين ـ تشبه عصا الرجل الاعمى ـ .

هذا ... ويقول احد شخوص مسرحية ـ لوليم ساروبان ، الكاتب الامريكي : ان جميع مشاكل الانسان يمكن أن تحل ، لو أن في العالم عددا كافيا من المجلات(١)

ويقول الاستاذ عبد الله عريف : المجلات تمثل نوعا من النشاط العقلي يلوح لي أنه ضروري في هذا العصر المضطرب ... والمجلة هي : الرسول الطبيعي للروح اليقظة وللفكر الذي لايريد أن يتخلى عن رسالته ... فاختفاء مجلة ادبية في الوقت الحاضر يعد كارثة على التفكير المهدد في نشاطه وفي وسائل اذاعته ولعل الكثيرين منا يذكرون ما كان لاختفاء مجلة ـ الرسالة ـ المصرية من هزة ادبية ثقافية في العالم العربي ...وكذلك اخواتها ـ الثقافة ـ و ـ مجلتي ـ و ـ أبولو ـ و ـ الكتاب ـ مما غير من صور الحياة وتطورها الذهني(٢) .

هكذا نرى ـ دون ريب ـ أن للمجلة مساهمة فعالة في حل مشكلات الانسان ، ولكن ينبغي علينا أن نعلم

● المجلة ودورها في الثقافة الادبية :

ان للمجلة المساهمة في حل مشكلات الانسان ـ مواصفات وحدود ـ تعمل ضمنها دونما اجتياز ...

هذا .. وفي عالمنا العربي ظاهرة ثقافية جميلة مبشرة بتيار من الوعي لابعاد الماضي والحاضر والمستقبل العربي ، تتجلى في ظهور هذه المجلات بل ـ الشعلات ـ الخيرة المنبجسة من خلال ظروف التخلف والركود وما احوجنا اليوم ـ أكثر من اي يوم مضى لمثل هذه المجلات التي هي ميدان للاقلام المعاينة للواقع والمصير (٣) .

المجلة .. ودورها التربوي

في كل مهنة ـ في الوجود ـ ظروف وأحوال خاصة تؤدي الى الاحباط ، وثمة مشكلات يتعرض لها صاحب كل مهنة في الكون ، ولكن المشكلات متغايرة بين مهنة واخرى .

وثمة اسس ودعائم يستند اليها صاحب كل مهنة من المهن لحل مشكلاته المهنية ، وبما أن المعلمين يتعاملون بالمعرفة ويقدمونها لذلك يجب عليهم .. ـ أن يبقوا على صلة دائمة بالمعرفة الجديدة في حقل اختصاصهم . وعليهم أن يعلموا أن ما كان صحيحا بالامس القريب قد يصبح خاطئا اليوم ، وأن ما كان مجهولا قبل قليل قد يصبح معلوما بعد قليل ، وأن ما كان مستعصيا على الحل قبل أيام قد يصبح محلولا بعد أيام . وكل هذه تقدمه الكتب والمجلات ، وما فيها من بحوث ودراسات ومناقشات وتجارب ، ومن هنا كان واجب المعلم في أن يبقى على صلة مستمرة وثيقة بهذه البحوث ، وقراءة الكتب الحديثة ومتابعة المجلات الاختصاصية ... (٤) .

أما على صعيد الجرائد والمجلات الملائمة والمناسبة لاطفالنا فنقول مع الاستاذ : عبد الرحمن شلش انهما : من اهم وسائط ثقافة الطفل ، اذ تنقلان الكلمة والصورة اليه ، وتشاركان بدور مماثل للكتاب في تثقيفه .

فالجريدة اليومية ، والمجلة الاسبوعية او النصف شهرية او الشهرية دعائم قوية تسهم في ايجاد صحافة جادة لاطفالنا . ولكن من المؤسف والمخجل انه لاتوجد لدينا حتى الان جريدة يومية للطفل العربي .

واذا كانت لدينا مجموعة من المجلات الخاصة تصدر في بعض الاقطار العربية ـ مثل مجلة : اسامة ، سعد ، وغيرها ـ فانها لاتعدو أن تكون اكثر من محاولات تسعى لمخاطبة عقل الطفل العربي ووجدانه ، ولكنها لاتصل الى كافة اطفالنا .

وتدعونا الحاجة الى وجود جرائد يومية عربية ، فضلا عن مزيد من المجلات ، حتى تلبي رغبة اطفالنا في صحافة عربية عصرية متطورة .

واما الترجمات الحرفية لمجلات الاطفال الاجنبية مثل : ـ سوبرمان ـ و ـ لولو ـ و ـ الوطواط ـ فانها لاتصلح لاطفالنا الذين يعيشون في بيئات عربية مختلفة عن البيئات التي يعيش فيها الاطفال غير العرب ...(٥)

المجلة ... أم الكتاب ...

لقد استطاعت المجلة المعاصرة ان تغلب الكتاب لاسباب كثيرة .. فالمجلات ولاسيما العلمية ـ كما نعلم ـ تنشر التجارب في الوقت المحدد قبل ان تصدر في أي كتاب ، كما أن المجلة تعطي احدث ما توصل اليه عالم التجارب والاختراعات الجديدة اضافة الى المصادر والمراجع العلمية الصحيحة التي يتطرق اليها العالم والباحث على متابعة احدث ما توصل اليه العلم والمعرفة متابعة صحيحة كما تعطيه صورة واقعية حية عن كل ما نشر او كتب او بحث في هذا المضمار ، ولهذا فان المجلات العلمية الامريكية تصل بعد اسبوع من صدورها الى الاتحاد السوفييتي وبالعكس وذلك لسببين :

ـ لفهم التكنولوجيا ـ العلوم التطبيقية ـ الحديثة

ـ لنقل ومعرفة البحوث الجديدة لكي لا يحدث تضارب في البحوث في ميادين العلوم المختلفة من كيمياء وفيزياء وفيزيولوجيا وبيولوجيا وفلك وعلم نفس وطب وغير ذلك من العلوم المختلفة ...

هذا ... والمجلة عبارة عن قليل من كل شيء كل اسبوع او كل اسبوعين او كل شهر او كل شهرين او كل فصل ... ـ ثلاثة أشهر ـ ..

ولهذا فالمجلات : ـ مكان وسط بين الكتب والجرائد وهي لازمة لحفظ التوازن العقلي في تلك البلاد التي تعتبر اليوم مسؤولية عن كنز حضارتنا ... (٦) .

كما ان المجلات تبين للباحث المستخلصات والنتائج التي عادة ما تكون مركزة على ارقام وجداول وفهارس توفر على كل باحث عناء التفتيش عما يريد .

واضافة الى كل ما سبق فانها تلخص الكتب وتجمع العلم وادب والطب والتربية وعلم النفس ..ولهذا فهي بمثابة الغذاء الفكري لابناء الامم .. (٧) .

وهكذا .. فقد بقي الكتاب مرافقا وصديقا مخلصا للمجلة ...

المجلات أنواع ...

المجلات أنواع عديدة كالاصدقاء ، فكما ان الاصدقاء بحسب تجاربنا في الحياة ثلاثة أنواع : صديق كالغذاء واخر كالدواء وثالث كالداء .

فالمجلات ـ من خلال اطلاعنا عليها ثلاثة انواع أيضا

ـ مجلات كالغذاء : وهي ضرورية جدا لكل انسان واع .. كالمجلات الادبية والعلمية الثقافة الرفيعة النيرة ، والمضمون الفكري الجيد ، والاسلوب الجزل المتين ومثالها في البلاد العربية : مجلة ـ العربي ـ الكويتية ـ والمعرفة ـ السورية ـ والدوحة ـ القطرية ـ والفيصل ـ السعودية ـ والاقلام ـ العراقية ـ والثقافة ـ السورية ـ والهلال ـ المصرية ـ والفكر العربي ـ الليبية وغيرها من المجلات الفكرية الجيدة ...

ومجلات كالدواء : وهي مجلات يحتاج اليها الانسان احيانا ولكنها مفيدة ونافعة في كل حين لانها لاتحمل فتيلا من الضرر . ـ كالمجلات الطبية والزراعية والعسكرية وغيرها ـ وهذه المجلات : مجلات اختصاصية تهم ذوي الاختصاص بادىء ذي بدء ...

ومثالها في البلاد العربية : ـ طبيبك ـ السورية وطبيبك الخاص ـ المصرية ـ والعلم والايمان ـ التونسية ـ ودنيا العلم ـ اللبنانية ـ والجمعية الطبية الكويتية ـ ـ وقافلة الزيت ـ السعودية ـ والاقتصاد ـ السورية وغيرها من المجلات الاختصاصية الهدفة ...

واخيرا ـ مجلات تافهة سخيفة منحطة بمثابة داء وبيل والعياذ بالله وهي تضر الانسان كل انسان ـ لذا يجب على الانسان اللبيب ان يفر منها فراره من المجذوم او المسلول ... لماذا ؟ لانها تصور الجنس والعنف والجريمة .

والصهاينة ـ كما نعلم ـ أساتذةفي علم الجريمةوالجنس والعنف . وتقوض نظام الاسر ـ ولا سيما الاسرالاسلامية والعربية ـ وتهدم الاخلاق وتخلل الافكار ، وتشل العقول وترهق الاعصاب ، وترخي وتهزل الاجسام ...(٨) .

هذا ويجب علينا ان نعلم ان من وراء هذه المجلات المهدمة دور طبع صهيونية لان مخططي الدولة الصهيونية العالمية التي تريد ان تسيطر على العالم اتفقوا في :

بروتوكولات حكماء صهيون ، على أن من السبل التي يجب اتباعها لاخضاع من يسمونهم ـ الجوييم ـ أو الاميين ، حرب الاخلاق وتقويض نظام الاسرة بوساطة : المجلات الجنسية ، والازياء الميكروبية والافلام الخليعة الماجنة ، والقصص الغرامية المثيرة ... (٩) .

ولا مجال لذكر اية مجلة من هذه المجلات لان اللبيب ـ كما يقال ـ من الاشارة يفهم ..

الاهتمام العالمي بالمجلات ٠٠٠

بما أن المجلة تعتبر مدرسة فكرية مقدسة ، لذلك لاعجب ان يبلغ الاهتمام العالمي بها حدا بعيدا ، وقد احسن – جورج ديهامل في كتابه – دفاع عن الادب – حول فائدة واهمية المجلات والدور الذي تلعبه في حياتنا الحديثة حينما قال : – وهي أي : المجلة – كما يدل معنى لفظها الاشتقاقي تسعى او تحاول ان تسعى الى ان تستجلي اي : توضح حقيقة من العالم ٠٠ والحياة ٠٠ وهي قد تظهر كل اسبوع ٠٠ واحيانا مرة واحدة كل شهر ولها على الحوادث اليومية نوع من الرقابة ٠٠ وهي تصفي تلك الحوادث ٠٠ او على الاصح ترفع من قيمتها اذ يمر ما يعلو تفاصيلها من غبار بمنخلها فيختفي ولا يبقى منها الا ما يصلح لان يكون غذاء لتكوين النفوس الحريصة على ذاتيتها (١٠) ٠

كما أن المجالس والندوات العالمية قد عقدت بشأنها وكان اخرها ندوة المجلات الادبية والثقافية التي عقدت في دمشق باواخر عام ١٩٧٤ وقد بين فيه الاستاذ : صلاح عبد الصبور اهمية المجلات : – ان المجلات تقود التغيير الثقافي ، وتبشر بالقيم الجديدة في مجالات الحياة والادب والفن من نشر كتابات كبار رجالها الاصلاحين والثوريين «١١» كما بين : سوفرونوق في مقالته : المجلات الادبية والاتحاد السوفييتي ، فقال : – المجلة الادبية واحدة من افضل الوسائل الفعالة لاتحاد الكتاب ، وخلق جو ادبي في البلاد كما أن المجلات الادبية نفسها اسهمت في تنشيط حركة الابداء الفني ، بعد الحرب العالمية الاولى ، وخلال فترة الانتداب ٠٠٠ (١١) ٠

عوامل ازدهار المجلات ورواجها ٠٠٠

يمكن اجمال عوامل ازدهار المجلات ورواجها فيما يلي (١٢) ٠

● المضمون الجيد والمستوى الرفيع للمواد المنشورة : وهذا يحتاج الى هيئة تحرير جيدة قادرة على انتخاب الاعمال الصالحة للنشر من مقالات وبحوث ودراسات ٠٠٠ الخ ٠

● الغاء منطق النفعية ، وعدم تكرار اسماء الكتاب ٠ فالنشر يجب ألا يكون لاعتبارات فوق شخصية فيكون لاهمية المضمون وقيمته ، وجمال اسلوب ٠

● مراعاة عامل التنوع والتوازن في المواد ، كأن تكون جامعة تغطي شتى انواع المعارف او متخصصة بعلم من العلوم ، وكذلك يجب مراعاة المواد المترجمة والمواد الاصلية ٠٠

● قضية الاخراج : فالقارىء يرتاح للاخراج الجيد الجميل ٠ ابتداء بالغلاف الاول وانتهاء بالغلاف الاخير ٠٠ ولكن ينبغي علينا أن لانغتر باغلفة المجلات الملونة الجميلة البراقة – المدسوسة من الداخل – لانها لاتقدم ثقافة لا ادبية ولا علمية رفيعة ٠ وقد قيل – ليس كل ما يلمع ذهبا – ٠٠

● زوايا القراء : وهذه تزيد من مدى الثقة بين المجلة وقرائها ٠

فالمجلة الناجحة هي تلك التي تخطط لاقامة علاقة شخصية مع قرائها ٠٠ وهنا تبرز اهمية – صفحة المراسلة – وهي ايضا الوسيلة التي تعتبر بمثابة بارومتر لقياس مدى انتشار المحتويات التحريرية للمجلة ، ولهذا تلجأ كثير من المجلات الاوربية الى تشجيع هذه العملية بانشاء نوادي خاصة بها تمنح القارىء الذي يكتب للمجلة علامة النادي وشهادة بعضويته ٠٠ والمؤسف أن هذه النوادي قد اختفت خلال السنوات الاخيرة نظرا للنفقات الباهظة التي تستهلكها ٠٠٠(١٣) ٠

المجلات العربية ٠٠٠ وواقع الحال ٠٠

قال الدكتور : سهيل ادريس معلقا على البيان الختامي لندوة المجلات الادبية والثقافية المنعقدة بدمشق عام ١٩٧٤ – المجلة في عالمنا العربي خاصة ، مهملة الشأن مكسورة الجناح ، الا أن تكون محمية من السلطة المتمثلة بوزارة الاعلام او سواها من وزارات الدولة ٠٠(١١) ٠

وهذا يعني أن مجلة ـ كالعربي ـ أو ـ الدوحة ـ او ـ الفيصل ـ او ـ المعرفة ـ مثلا لاتستطيع على التحليق كما أنه لا يمكن لها ان تنجح في مسيرتها ان هي اعتمدت على القراء وحدهم ، فيما تنفقه وتعطيه على السواء وما ينطبق على هذه المجلة ينطبق على كثير غيرها ٠

وهذا ما نجده في البلدان الاشتراكية المتقدمة ، وعدد من اقطار الشرق الاقصى اما في بقية الدول كانكلترا وفرنسا والبلدان الاسكندينافية فان المجلات الثقافية والادبية تصدر الغالبية منها عن منظمات واحزاب وجمعيات علمية وثقافية وادبية ٠ فنحن نجد وراء مجلة ـ الوقت الامريكية هيئة عظيمة تنمو وتزداد نموا٠وتستمد مؤيديها من جهات العالم الاربع ٠

وكذلك مجلة ـ انكاوتر ـ البريطانية التي تنشر افكارا ومبادىء تدعو اليها : ـ المنطقة العالمية لحرية الثقافة ـ كما وأن وراء مجلة ـ الازمنة الحديثة ـ التي اسسها ـ جان بول سارتر ـ في فرنسا هيئة جبارة ٠٠٠ وهذه المجلة تشبه بعض الشبه ، المجلات ذات الاختصاص مثل :

مجلات المجامع العلمية التي كانت ولا تزال تصدر في دمشق والقاهرة وبغداد ، ومؤخرا في عمان بمعنى ان الهيئات والمنظمات والجمعيات التي ترعاها وتتولى شؤونها وتهتم بانتشارها تظل المسؤولة عن نموها وتطورها او موتها واختفائها ٠ ولهذا استمرت رسالة ـ الزيات ـ ثقافة ـ احمد امين ـ مدة طويلة من الزمن وقد بين الناقد الدكتور عز الدين اسماعيل العناصر الداخلية التي تهدد كيان المجلة وتنسفها من الداخل : ـ المجلة التي لاتستجيب في مادتها وفي فلسفة تحريرها للهموم والمطالب الروحية والفكرية والانية ، او التي تتخطى فهم هذه الحاجات الملحة فتنحرف أو تنجرف الى مشكلات وهمية او قضايا لم يعد لها في الواقع رصيد من هموم الناس ، والمجلة التي تنغلق دون ما يجرى في العالم ، سواء للجهل به ، او لتجاهله او رفضه ، والمجلة التي لاتفتح صدرها للمغامرات والكشوف الجديدة ، المجلة التي هذا شأنها تصبح مهددة من داخلها، ويؤذن نجمها بالافول(١٤)

مجلات عربية ذات قيادة ومسيرة ٠٠

المجلة : مدرسة مقدسة بشرط أن يحترم المدرسون مهنتهم ٠

ـ وبعد ـ فالمجلات اما ناجحة واما عاثرة فاشلة ٠ فالمجلات الناجحة هي التي تواصل الدرب من بداية صدورها بشموخ وكبرياء دون تعثر او تلكؤ لتأدية الرسالة الملقاة على عاتقها ٠

اما المجلات العاثرة الفاشلة : هي التي يراودها النعاس والقهقرى منذ بداية صدورها ٠٠٠ ولعل اهم المجلات الشهيرة التي ادت الرسالة الملقاة على عاتقها بنجاح وماتزال بعضها في تأدية رسالتها المقدسة ، في وطننا العربي هي :

ـ مجلة المقتطف : ـ المصرية ـ تعتبر هذه المجلة من امهات المجلات العربية ، وقد عملت بجد واخلاص وجهد خلاق حوالي نصف قرن من الزمن ، ثم استراحت بعد ذلك على : رفوف المكتبات العامة والجامعية كمرجع لاغنى عنه للباحثين والعلماء ٠٠

ـ مجلة الهلال : ـ المصرية ـ مجلة شهرية عربية فكرية ، تصدر عن دار الهلال وقد اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ، وقد بزغت بالفكر العربي والانساني منذ بداية صدورها وقد قطعت حتى الان مايزيد عن ثلاثة أرباع القرن في شموخ وكبرياء وزهو ٠٠ وما تزال حتى الوقت الحاضر نبعا ثرا لا يجف ٠٠

ـ مجلة العربي ـ الكويتية ـ : صدر العدد الاول منها في شهر كانون الاول عام ١٩٥٨ وقد اصبح الان نادرا جدا ٠٠ هذا وقد قطعت المجلة ـ حتى الان ـ زهاء العقدين ، وماتزال نبعا ثرا للثقافة العربية الاصيلة ٠ والمعلم الدؤوب لاجيال الامة العربية من المحيط الى الخليج ولا اظن ان في الوطن العربي كله من يجهل هذه المجلة الغراء ٠

ولكن على الرغم من خط سيرها المتاز من بداية صدورها وحتى الان فانها ـ وهذا مع الاسف العظيم ـ

● المجلة ودورها في الثقافة الادبية :

تنحرف عن جادة الصواب احيانا حيث انها : ـ تعامل كتابها وقراءها ـ على حد قول الدكتور حسان الحاج ابراهيم ـ كدمى الزجاج التي تخشى عليها العطب من نقد او خلاف في الرأي او وجهة النظر او تعامل كتابها وقراءها كما يعامل الطبيب اولئك المرضى الذين تماثلوا من الداء دون ان يتم شفاؤهم بعد ، فهو لايزال يمنعهم اشياء ويحميهم من اشياء ، ويخشى انتكاس الداء بعد طوال الرجاء ، وتعذر البرء بعد أمل الشفاء ١٥

ـ مجلة المعرفة السورية : وهي مجلة شهريةثقافية فكرية تصدرها وزارة الثقافة بدمشق ٠ وقد ظهر العدد الاول منها في غرة اذار ١٩٦٢ ، واخذت منذ بداية صدورها تنحو منحى فكريا ٠ وهي اليوم ـ بمثابة الوجه الثقافي لسورية على حد قول الدكتور عمر الدقاق لانها تكاد تكون المجلة الفكرية الادبية الاولى التي تستقطب الحركة الثقافية في هذا القطر بعد ان اختفت المجلات الادبية الواحدة بعد الاخرى تحت وطأة الظروف المادية القاهرة وهي تمضي ـ الان ـ برصانة وثقة في اداء رسالتها الثقافية والقومية فضلا عن انها مراد للمجددين في الشعر والقصة والبحث من شباب هذا الجيل ١٦

ـ مجلتا الاديب والاداب ـ لبنان ـ كل عربي واع يعلم محنة هاتين المجلتين المنورتين وهما قد حملتا منبر الادب والثقافة حوالي مايزيد عن ربع قرن دون تعثر ٠٠ الى ان جاءت احداث لبنان الاليمة لتمنعهما عن الصدور ٠ ثم اخذتا في الصدور من جديد بعد أن هدأت الحوادث ٠٠

ـ مجلة الثقافة ـ السورية ـ : وهي مجلة شهرية ادبية فكرية جامعة مع ملحق اسبوعي لها ، صاحبها ورئيس تحريرها المسؤول الاستاذ الصحفي مدحة عكاش ٠

هذا وقد قطعت المجلة ـ حتى الان ـ زهاء العقدين من الزمن ، وهي تمضي ـ الان ـ بثقة في اداء دورها الثقافي على الرغم من الظروف المادية القاسية التي تعانيها المجلة ٠ وقد فتحت المجلة صدرها منذ صدور اول عدد منها ـ على حسب اعتقادي ـ لشباب الوطن العربي عامة ، ولشباب سورية خاصة واهتمت بمواهبهم اهتماما بالغا ، ولهذا فقد اصبحت منبرا حرا لشعرهم وقصصهم ومقالاتهم ، لذا اصبح اسمها على شفة ولسان كل شاب مثقف في سوريا وهي : بحسب اعتقادي الجازم تعد المجلة الادبية الثقافية الثانية التي تقف الى جانب مجلة ـ المعرفة ـ لتستقطب الحركة الثقافية في القطر العربي السوري ٠٠

ـ مجلة الفيصل ـ السعودية ـ مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية ، ظهر العدد الاول منها في غرة رجب الاصم عام ١٣٩٧هـ ، يونية ١٩٧٧ م ٠

ومما لاريب فيه أن الصحافة العربية لم تعرف منذ نشأتها ، وحتى الان صحيفة أو مجلة بلغت ما بلغته مجلة ـ الفيصل ـ من سمو المنزلة الفنية والعلمية والادبية والثقافية ـ وذلك في وقت قصير جدا ـ وهذا يدل دلالة واضحة أن مجلة ـ الفيصل جبارة في هيئة تحريرها ، في اخراجها ، في تنسيقها في تخطيطها ٠٠ في طباعتها ٠٠ الخ ٠٠ واكاد اجزم القول : بأن مجلة ـ الفيصل ـ تعد ارقى مجلة عربية على الاطلاق كما أنها تضاهي بل تفوق اعظم المجلات الثقافية العالمية ٠٠٠

واخيرا من لزوم مالا يلزم أن اقول : ان مجلةالفيصل تمثل وجه الصحافة العربية المشرقة باجمل صورة ٠ وانبل اشراقاته وانها سوف تدخل فيما اظن في المستقبل معظم جامعات العالم لتتربع على رفوف مكتباتها ٠٠٠ وتصبح مرجعا هامالاغنى عنه للعلماء والباحثين ٠٠

... ـ وبعد ـ فان مجلة الفيصل ـ على حد قول رئيس تحريرها الاستاذ الصحفي علوي طه الصافي : منطلقاتها البحث عن الحقيقة المجردة بلا اثارة او افتعال .. غريبة الملامح والسمات .. واضحة الافكار والمبادىء تحترم القيم النبيلة .. والافكار البناءة .. تسعى بكل ذلك الى عقل القارىء ووجدانه ـ ١٧ ـ ..

ـ مجلة الدوحة ـ القطرية ـ هي مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدرها وزارة الاعلام بدولة قطر . هذا وقد ظهر العدد الاول منها في غرة شهر كانون الثاني عام ١٩٧٦ . وشعارها منذ بداية صدورها انها : ـ ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية ـ ...

ختاما :

هذا الذي ذكرناه غيض من فيض من مجلاتنا العربية التي شكلت اوعية للفكر النابض المجدد والخلاق. المنتج باستمرار .. لم اجد مناصا من التعرض .. ولو باعطاء لمحات عنها .. هذا .. كما ثبت ان هناك الكثير منها بالطبع ممن ساهمت بالنهضة الفكرية والثقافية والعلمية والادبية عندنا ...

.. منها .. العرفان ، البيان ، الاقلام ، الفكر ، الوعي الاسلامي ، حضارة الاسلام ، العلوم ، عالم الفكر، الكاتب ، الكتاب ، المجلة ، المقتبس ، الحديث ، الضاد ، افكار ، المنهل ، وغيرها وغيرها .. اضافة الى مجلات التراث العربي الجادة ـ كالمورد ـ وهي كثيرة ايضا ...

مجدل علي

المراجع :

١ و ٣ و ١٤ : مجلة ـ افكار ـ الاردنية عدد كانون الثاني ١٩٧٧. مقال للاستاذ : عبد الغني عبد الهادي ..

٢ و ٦ و ١٠ : مجلة ـ الفيصل ـ السعودية العدد ـ ٧ ـ محرم ١٣٩٨ ديسمبر ١٩٧٧ مقال للاستاذ عبد الله عريف .

٤ ـ كتاب : علم النفس التربوي د : فاخر عاقل . ص ٥١٦

٥ ـ مجلة ـ الفيصل السعودية العدد ٢٠ صفر ١٣٩٩ يناير ١٩٧٩ مقال للاستاذ عبد الرحمن شلش .

٧ و ٨ ـ مجلة : الثقافة الاسبوعية السورية العدد ـ ٧ ـ ١٧ـ٢ـ١٩٧٩ . مقال الثقافة العربية المعاصرة وواقع الحال بقلم : مجدل علي .

٩ ـ كتاب : ماذا عن المرأة د : نور الدين عتر ..

١١ ـ مجلة ـ الاداب ـ اللبنانية عدد يناير ١٩٧٥ .

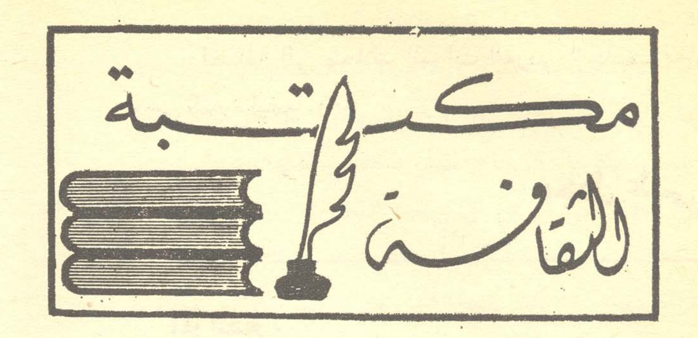
١٢ ـ مجلة البيان الكويتية عدد : ديسمبر ١٩٧٤ .

١٣ ـ مجلة الفيصل السعودية العدد ٢٢ ـ ربيع الاخر ١٣٩٩ هـ مارس ١٩٧٩ . مقال مجلات الاطفال بقلم : دينسيس جيمس هوبر وترجمة الاستاذ : محمد فكري أنور ..

١٥ ـ مجلة المعرفة ـ السورية العدد ـ ١٨٥ ـ تموز ١٩٧٧ ..

١٦ ـ كتاب : تاريخ الادب الحديث في سورية د : عمر الدقاق ص ٢٧ .

١٧ ـ مجلة ـ الفيصل ـ السعودية ـ العدد الاول رجب ١٣٩٧ يونية ١٩٧٧ ...



دريد يحيى الخواجة

وحوش الغابة



● دراسة : بقلم اسماعيل عامود :

مجموعة قصص ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق ١٩٧٩ تأليف : دريد يحيى الخواجة .

ـ هي قصص الواقع المعاش لرهط من الناس الذين يعذبهم الحرمان ويلدغهم الفقر ، ويضطهدهم المجتمع الفوقي .. فيعيشون في عالم الانسحاق والقهر والانكسار .. عالم بلا حرية .. ترفده اعتبارات شتى من سلطوية وجشعية ونهب وتشنجات سيكولوجية في بنيتيه الاجتماعية والنفسية ..

وكذلك فهذه القصص تفرز وتعالج من الداخل مجتمعا متداعيا اكثر ما يمكن ان يقال عنه انه مجتمع مفلوش ، سائب ، لا تربطه بالنظم الحضارية أي رابطة فكر يمكن لها أن تنقذه من المتاهة التي يرسف فيها .. فعناده ـ أو بدويته جعلت من أفراده اكياس تبن لانفع فيها وانما هم عبارة عن أعداد تكميلية للوحات الاحصاء في مؤسسات الاسكان .. والاكثر من ذلك أن أرباب هذه القصص انما انتقاهم المؤلف من مجموعات بشرية مرابية كأسوء نماذج تحيا كالسوس في جذوع شجرة الوطن العربي ، ولها الفجوات الكبيرة تنخر فيها مقطعة الاغصان ومفرقة الفروع والاوراق لعل هذه الشجرة تقع على رصيف الموت .. بلا مراسم ..

ودريد الخواجة ، من أولئك الكتاب الذين يعملون بجهد عال في سبيل تطوير مجتمع أبطاله في القصص التي يطرحها من خلال تجربة واعية أخلص لها عبر توظيف امكاناته ككاتب بدأ حياته الادبية منذ أواسط الستينات انه بعمله القصصي هذا تطويري لا يريد زج المبدأ الواعظي في شؤون ابطاله بقدر ما يرغب أن يتحركوا انطلاقا من مبادرة داخلية مباشرة تنبع من واقعهم الرديء الذي وصلوا اليه أو توضعوا فيه ..

● فثلاثية المبيض :

تسترعي الانتباه بل تجذبه بشدة وبقسوة غالبا .. و « الاستدعاء » المقدم من قبل محمد علي الصوراني ، عمل قانوني فرضته الايام بل الناس الذين يقبعون في كهوف الوظائف وبدليل اخر الذين يسورون ضمن دائرة ولكن ليست طباشيرية .. فطلب العمل بحد ذاته قانوني

والقوانين الموضوعة هي من أجل الانسان ، والا من أجل مـن ؟

(أريد عملا ، لو كان معي ثمن كيلو من الخبز لما أتيت الى هنا ٠٠ لا أريد أن أعيش عند أحد ٠٠ أريد أن أعمل في الشركة ٠٠٠) ، الكرامة ومعها الاصرار على موقف الترفع الذي ضد الاستجداء صفتان معجونتان بالمواطن الشريف أقول ، بدمه وعظمه على السواء ٠ مكتب العمل ، دليل التنظيم ٠٠ والنظام المعين وجد بالضرورة لاستقبال جميع الراغبين من الشغيلة ٠٠٠ في الثلاثية ٠٠ وصف ولا ألصق به من الموصوف ذاته ٠٠ مشهد السرايا في حمص ٠٠ المشردون ، المراجعون ، بؤرة تتجمع فيها جماعات من الناس ٠٠ أولئك الذين يهوون القضايا المخاصمات ٠٠ ومشهد الصوراني ، الرجل الضعيف بين كتاب العرائض ٠٠ « رجل ضعيف العقل ، هكذا كانت تصفه أمه ـ » الجدران التي ليست (له) وتحجب أو تمنع ـ عنه ـ الاحلام ٠٠ الرجل محاصر ، وهذه الاحلام ان يكون له ـ بيت ـ على مزاجه ، بعيدا عن ـ حمص ـ المدينة ٠٠ ولكنه من طرف اخر يحس بعمق مؤكد وبداهة ٠٠ انه لايرغب ان يكون عالة ٠٠ انه كشاعر ضائع ، يبني عبر تصوراته مشاهد ميتافيزيكية تهدء من ثورة اعماقه التي ضد وضعه الراهن القائم ٠٠ والمستمر منذ أن ولد من خمسين سنة ٠٠ مع هذا ، فانه واقعي الى أبعد الحدود، يرغب بعالم متكافىء ، ويرزق بأطفال بعد أن يتزوج بمن تكون لائقة به ٠٠ انه كره مهنة ـ المبيض ـ وغايته القصوى ان يموت تحت ـ سقف ـ لبيت يملكه ، ولكن لن يكون هذا السقف ٠٠ رغبات تتبخر دون ان تنزل مطرا للعشب اليباس ٠

● الجورة :

انها تعني تعثر المياه مثلما تعني نهاية رحلة الحياة ٠٠٠ ومهنة المبيض كغيرها من الصنعات القديمة تغيب ، ويبطل العمل بها لتحل مكانها أدوات حديثة لاتحتاج الى تبييض ٠٠ ـ لعنة الله على هذا العصر كل شيء فيه يتبدل ٠٠ الا جورة الشغل المتلئة ماءا باردا ـ ٠٠ شخصيات منتقاة بدقة متميزة يفرزها دريد الخواجة ـ بذكاء من عاش أحوالها المقهورة وانسحاقها زمنا طويلا ٠٠ وعمل المبيض ـ يعتبر في حد ذاته قاسيا ٠٠ لنتصور كيف يتغلغل الرمل حادا في أخاديد كعب القدم بينما التراب الناعم الاسود يختبىء في الشقوق والمسامات ٠٠ وعندئذ ترتفع كالموت قشعريرة في عروق العامل تلك العروق التي تكاد تترك مسكنها من جلده ٠٠

الاثـر :

● وقبل ان اعرج الى ـ الاثر ـ وهي الثانية في الثلاثية ، لابد من أن أدقق في أن الكاتب وكأنه عاش واقعيا مع أشخاصه ، انه لاينفك عنهم طوال القصة ، بل وجميع باقي القصص التي في المجموعة ـ وحوش الغابة ـ انه يحب بلده ـ حمص ـ ومن خلال شخوص أبطاله ٠٠ فقر الضواحي ، العمال ، الاماكن : جسور العاصي ، ـ جورة ـ ابي صابون ، الارض الصلبة ـ والطرية معا ٠٠

في ـ الاثر ـ أبو سليم الطنبرجي ، حياته في ـ العتالة ـ انه حمال يتمنى طفلا ، يشم رائحته ، ولعله في الايام الاتية ، التي لاتأتي ٠٠ يرثه ، ويحمل اسمه بعد عمر طويل ؟ ٠٠

● ممنوع التنخيم :

ـ وينقلنا دريد الى مراكش ـ المغرب العربي ، حيث عمل هناك مدرسا منتدبا ٠٠ ليكتب بواقعية شديدة قصصا تلمس قمة الابداع ٠٠ في ـ ممنوع التنخيم ـ يأخذ قطاعا بل هو يتناوله ، اي القطاع هذا ، خاص ، الملكية الخاصة ، عندما تطرح وسائلها وأجهزتها للجمهور تبقى في عنادها ضد خدمة الجمهور ،بمعنى أخر لاتتقيد بنظام لمصلحة الاكثرية ، وانما همها غالبا الكسب المرتفع ٠٠ولكن على حساب الجمهور الذي يضطره أفراده للخضوع للتصرفات غير اللائقة « لينزل من يرغب ، لست مقيدا أحدا ، كل يعرف مصلحته ، من منكم تعب في شراء الحافلة ـ السيارة » ص ٥٩ ـ ؟

● مكتبة الثقافة ـ وحوش الغابة :

في مجتمع لاضابط له ولا نظام يرتب العلاقات بين الناس بشكل يؤمن مصلحة المجموعة البشرية على الوتيرة الاخلاقية مجتمع محكوم عليه بالعدمية ، والفوضى ، والبعد عن الحضارة ، اذا كانت الحضارة هي العلمية والموضوعية والسلوكية الانسانية ٠٠ الى جانب المنجزات التقنية وغيرها ٠٠ !

صاحب الحافلة ـ في القصة ـ لايكترث ، فهو من جهة مصلحته ، أناني ،يحيك قانونا يخدم مصلحته فقط ٠٠ بالرغم من أن الحافلة التي تدر عليه الربح ويكسب من العمل عليها انما هي موضوعة لنقل مجموعة من الناس وتعمل في مجال جماهيري ، وفوق أرض تملكها باسم الشعب ، الدولة ٠٠ أي «الطريق العام» كما هو معروف ٠ ومع هذا وذاك فان الملكية الخاصة لها رأيها ؟ وقانونها الخاص ٠٠ ويعلو صراخ السائق بالركاب الذين بدؤوا يملون من ٠٠ ويعلو صراخ السائق بالركاب الذين بدؤوا يملون من الانتظار ليبدؤوا سفرهم المنتظر ،والحافلة لم تمتلىء بعد بالاشخاص ، لان ثلاثة مقاعد لازالت فارغة ٠٠ « هل القانون أن أترك ثلاثة مقاعد فارغة » ان هذا الكلام يؤكد على تحكم الخاصة بالعامة دون مبرر أخلاقي أو قانوني حتى ٠٠

● أوراق الليل والنهار :

هموم معلم ، يعيش في دوار الواقع وجنون السرعة ٠٠ وهرولة أوراق التصحيح ليل نهار ، يضع تعبه من أجل راحة لاتوجد ، وهل ارتاح « المعتصم » فعلا عندما ابتداع « أبو تمام » الراحة الكبرى ٠٠ له ٠٠

وتختلط أوراق الليل والنهار ويظهر دريد الخواجة وكأن في أعماقه صوت العصر المتسارع في اتجاه شجرة الاماني التي تتكاثر في اعماق النفس ، ولكن العمر يقصر داخل ماصات الزمن العربي ٠٠ يقصر بين الاحباط والمغامرة ، بين الحواجز والرغبة ٠٠ ولكن الامل ، عجلة ميكانيكية تدفع بالانسان الى النهاية ، وهو مايزال يصنع تعبه ، أغنية النهار والليل ، بينما تقبع هناك في اللامحدود مغريات وسعادات قد تدخل سعادتنا أو لاتدخل ٠٠؟ المهم أن يظل في داخلنا بريق يعي جهدنا في سبيل ابتغاء زمن جديد يحطم باسم الاف النوايا البيضاء عسف الاغنياء الذين تتألق مساكنهم المبهرجة الخاصة ، وعسف قوى الظلام والقهر ٠٠ التي تحمل بايديها الف اضمامة زهر تخبىء الموت في أحشائها ٠٠ ولكن ـ دريد ـ يلملم ذاته وينتصب ٠٠ وهو ـ المعلم ـ الغارق أنفاسه في سطور الاوراق يهوله ان تتحول بعض الاشياء في داخله فخارية من طول الاحتباس ٠٠ انه الحصار الزمني والحضاري الذي يطوق أصحاب النفوس المخلصة الصافية ، التائه في زمن يهرب بسرعة من نار الصدق ، النار التي تضطلع على الافئدة والضمائر الخسيسة التي تسرق من الشعب قوته لتجلب الادوات لعماراتها ، من الرخام المعرق من أغنى البلدان البعيدة ٠٠

ـ انها قصة الواقع ، الباهظ ، الذي يلقي الرمد في عيون المكافحين الشرفاء ، بينما هؤلاء الذين اتخمتهم التجارة الرابحة بلاعناء يذكر على استعداد للتخلي عن كرامتهم مجرد رؤيتهم امرأة عارية ذات أرداف هزهازة فوق الرصيف ٠٠ بينما تكون الاوركسترا تعزف للمتسلطين الذين أمسوا أغنياء ٠٠

● ماسحات الزجاج :

ـ ثمة طقوس من داخلنا ، كطقوس الشجر والريح والمطر ، تمارس رغبات مغبشة فوق وجه انثوي ، فنقرأ ملامحه وأفكاره بسرية تحت ضوء أحمر ، ونسرق ٠٠ ودريد مارس في هذه القصة طقسا مبللا ، كأنه سيل عشق طرقات الشتاء ٠٠ لقد صادف وهو يسافر من احدى القرى المراكشية في اتجاه العاصمة « الرباط » أنثى صحراوية ، أفسح لها مكانا الى جانبه في سيارة النقل العامة عندما انطلقت بالمسافرين تناطح مثل وحش

● مكتبة الثقافة ـ وحوش الغابة :

أسطوري حبال المطر وجدارات الظلام والضباب وأسرار فراغ الفضاء الرمادي في يوم عاصف عابس ، وبعد حوار مغمور وواضح في ان واحد يعرف أنها « ثريا ـ المغنية » وتعيش مع جدتها وهي تريده زائرا ٠٠ في حين تنقبض نفسه وتتحد مشاعره ـ في نهاية الرحلة ـ تجاه المدينة كما هي ، وتجاه هذه الانثى التي مافتئت تتكلم عن نفسها ٠٠ بينما الاشياء ـ الثانية ، الغميقة ـ خارج الاطار غمامية تعبق بدقائق الاضواء المنعكسة فوق صوت ماسحات الزجاج التي كانت داخل الاطار الحديدي المستطيل ، حيث تنشحط بالماء الثقيل ٠٠ في حين كانت كفه تتلمس كفها لتوقع وثيقة التعارف ، ثم ، الحب ٠٠ ثم اللهفة ٠٠ فالدعوة الى زيارة في السبتي ـ الداوديات ـ مراكش ـ وكما عودنا ـ دريد الخواجة ـ ينهي خط همومه الريفية عندما تتناءى المدينة وتبتعد مغرياتها ، ويبدأ المطر يتساقط موحلا بقسوة على الزجاج ٠ والقبطان يكافح في همة الانسان الذي ثابر أبدا على الحياة ، وماسحات الزجاج تلعب دورها أيضا في طقوس صامتة ومخنوقة ٠٠ ولكن دريد لا يحل هنا وفي أغلب قصصه مشاكل أشخاصه ٠٠ بقدر ما يعطى عنهم فكرة ، أو صورة مغمغة ٠٠ شديدة الاثر على اللوحة ـ الارض ـ ٠

● الاشارة ٠٠ ياسيدي رحال :

لا أدري ٠٠ ولعل دريد الخواجة في هذه القصة كان اكثر حماسة للكتابة ٠٠ وحسب معرفتي الشخصية له والمباشرة ومرافقته مايقرب من عشرين سنة ٠٠ فانه منحني معرفة اكثر ، وجديدة ، بشؤونه وشوارعه الخلفية ـ أعماقه ٠ مع أنني تسكعت معه في حارات دمشق ، وكنا معا ـ ثالثنا ـ عبد النبي حجازي ـ الروائي ـ نشكل بيئة قائمة في ارتياد المجهول ٠٠ والبحث والتطلع والشوق الى لمس غبار الزمن العالق بجدران المعابد القديمة ، ودهن جلدنا بألوانه الترابية المرمدة ٠٠٠ ودريد ـ هنا ـ يقوم بعملية مسح جبارة لقطاع من الناس الذين سكنوا بالوسواس الخناس ثم لاذوا بالزوايا وبتلك العتمات الاثرية ـ الروحية ، يستشرقون النفحات ٠٠ أولئك الذين ـ لايعرف عددهم الا الله ـ تحت الاشجار في سرحات البراري وفي اكواخ القصدير على الشواطىء ٠ في جل القصور وفي العمارات القميئة الشعبية أو في المنازل السحيقة المنفردة ٠٠ يعجنون ويخبزون تأملاتهم بعدها يدخنون ٠٠ ويدخلون دهاليز السموات والارض ٠٠ محمولون ربما فوق أجنحة موسيقا لايسمعونها ولكنها تتسع لكياناتهم ٠ أو أنهم يكتشفونها شيئا فشيئا ٠٠ وقد عزفتها لهم الشمس الرائعة وهي تحلم بتؤده في الصباحات الندية ٠٠ الى الكائنات التي يستفيقوا بضوئها بعد رقاد الليالي ٠٠

أهذا شعر ؟ ام عزف روحاني شارك فيه دريد الخواجة تأملات الصوفيين ٠٠ المشكولين في محاريبهم الخلوية منذ الازل « مدد ٠٠ مدد ياسيدي رحال ٠٠ يانوري الاخضر ٠٠ » ٠

انها ملحمة الانسان الباحث عن العدل في مجتمع تساوى فيه الاموات والاحياء في طلب الخلاص والانقاذ عن طريق صوفي عامر بالتربة المطهرة ٠٠ ان الكلمات في هذه القصة عمقت أسرار اللغة الصوتية الموظفة توظيفا يخدم السياق القصصي عبر مستوياته الاجتماعية والفكرية « سيدي رحال ٠٠ أقبل شاركني المجمرة ٠٠ أشقتك صراخات المعذبات والمعذبين المدنفين بحبك ؟ راعشين على قبرك بغية الامل في معانقة الحياة التي تعيد على الدوام ٠٠ الالام والافراح ممزوجة بالاشراقات في خضم الاستغراق والدخول الى الملكوت الرائع ٠٠ لكنك الامل ياسيدي رحال ٠٠ يانوري الاخضر ٠٠ هذا زمن ملعون ، غدونا أنا وأنت نحتاج الى الله ٠٠ »

ـ أي نجوى هذه التي اذا قرأناها في قصة « الاشارة ٠٠ ياسيدي رحال ٠٠ » ص ـ ٩٣ ـ لانعتقد بعدها بأن عالما ملعونا ومسكينا يعمه ويغرق في الشقاء والغموض ،

نعيش فيه ، بأفكار مقلوبة ، نتمنى اذابة جدرانه التي تحيط بالافكار والاشياء ٠٠ لعلنا نحظى بالتواصل الحقيقي مع المخلوقات التي تغبشت في زمن مستحيل ٠٠

والقصة هذه تطرح معاناة أولئك الذين يبحثون عن الخلاص من القهر الاجتماعي أو النفسي الذي خلفه لهم الوضع الرديء فلاذوا بالترهات وزجوا بأنفسهم في الوساوس يشاركون الجن والمبتلين والاملين وجميع المعذبين ٠٠ أولئك الذين يتقاطرون من كل مدن المغرب الى زاوية سيدي رحال ٠٠ هذا الضريح ، طلبا للفرج ورفع الضر ، وبقدر ما يعذبون أنفسهم عند الضريح بقدر ما يجدون الخلاص العاجل ، فلا يغادر المريض الا باشارة منه تأتيه في شبه اغفاءة حتى يسمح له الانتقال الى « سيدي بوعمر » وبأخرى الى ـ سيدي احمد ـ حيث خاتمة المطاف ، مطاف الشقاء ٠ انه عالم المتصوف حيث تتجلى له الاشارات في اغفاءة حشيشية تضعه خلف حدود الزمان والمكان معا ٠٠ انه عالم المهووسين الضائعين الهاربين من الواقع الى دهاليز الروح والخلوات الخاصة ٠٠ يقومون بأعمال لعلها تطهرهم من الادران ولكن هيهات ٠٠ انهم يغرقون بما هو أشد ، يلطمون ويشدون الشعور ويحطمون النفس والاعضاء قربانا ثمنه « الاشارة » التي تأتيهم في نومهم ٠٠ نومة الجسد الذي لم يعد قادر على تحمل المزيد من المعاناة وهو يسلك مسار الشقاء ٠٠

● وحوش الغابة :

للقاص دريد الخواجة ، قدرة عجيبة ، وفرادة ، في تحويل الحدث من مستواه العاطفي الى مستواه الشعري ٠ انه يحرك جزئيات الواقع نحو الحركة الدرامية المعبرة عن هذا الواقع بذكاء ودفق وبعيدا عن أية وصفية ميته ، فالوصف في قصص دريد يعني حركة الحياة المنتقاة بدقة وعمق وسيطرة على دفع مختزناتها نحو الرؤية الشمولية التي تمثلها نماذج تنطوي على قدر كبير من حساسية الواقع وأبعاده التي رصدتها أدوات فنية جيدة ٠٠

طالب جامعي ، شاب في مقتبل العمر مسافر من قريته الى ـ الدار البيضاء ـ كان قد قطع تذكرة ـ ركوب ـ في حافلة ، ولكنه صعد خطأ الى حافلة غيرها ، وبعد مسافة قطعتها الحافلة ، طلب المعاون من الطالب دفع الاجرة ـ وكان هذا الطالب قد دفعها في المكتب قبل السفر ٠٠

ترصد هذه القصة وضعا يكاد يكون مشابها يقع في اكثر البلدان العربية ، وبالتحديد في مؤسسات النقل الخاصة ـ الشعبية ، التي يمتلك أفرادها سيارات نقل جماعية ٠ انهم يتحكمون بالناس ويستغلون المواقف والظروف لهدر كرامة الركاب والاستخفاف بهم بسبب تسيب النظام وترك الامور في أيد رديئة ومستغلة تحالف أصحابها مع الشيطان ضد الجمهور والى الابد ٠٠ همهم المال ، ونهمهم اليه لم يعد يقف عند حدود ٠٠

لقد استخدم صاحب الحافلة واختار الطريق القديمة المستصلحة وعدل عن سلوك الطريق الجديدة لازدحامها بالسيارات الصغيرة ، أوقف الحافلة وأمر الشاب أن ينزل أو يدفع ٠٠ وكيف له ان يدفع للمرة الثانية ٠٠ ويصر السائق على ان يختار الشاب بين أمرين أحلاهما مر ٠٠ ويساعد السائق رجل يتصدر الكرسي المنفرد القريب من السائق يمتلكه عادة الموصى بهم ٠٠ بعدئذ ينفجر حوار شجاري مشاكس بين الركاب ـ الجمهور ـ ينتهي بقذف السائق ومعاونه الى خارج العربة بعد أن فاضت حركة الناس ، وبناء على تكاتف الجمهور واتحاده في ان كرامة الشاب الجامعي هي كرامتهم ٠ وعندئذ وفي أعماق أجساد هؤلاء الركاب المتراكمة التي كانت قدقذفت بنفسها الى السائق يوضح لنا ـ دريد الخواجة ـ شيئا مهما هو أن زمان الاستكانة طال ، وان الاتحاد لابد أن يؤدي الى شيء ٠٠ وقد أدى بالفعل الى الانتصار على وحوش الغابة فأضاء بذلك

عالم التعساء ٠ ان القصة هذه على صغرها وعادية حادثتها بحثت حقيقة عن موقع تجسيدي ما لموقع هؤلاء المقهورين ٠٠ فكأن اتحاد ـ الركاب ـ في الحافلة لمناصرة الشاب الذي أخطأ ركوب الحافلة ببطاقة لاتخص هذه ، بل تخص شركة غيرها قريبة وتعمل على نفس الخط ـ الطريق ٠ وما هو وجه الغرابة في هذا الخطأ ٠ هل ستقوم القيامة بخسارة بضعة دراهم ؟؟ هو كسب رهان التحدي بأي ثمن ، ولذا كانت فرحة الركاب ـ الجمهور ٠ تزدهر ٠ في أصواتهم الخافقة في الحافلة وهم يرددون ترجيعات وايقاعات أغنية شعبية مغربية :

وسيل سيل بالدم المغدور

وحوش الغابة ترهبت منك

وها هو نسيج ضوئي داخل عتمة الافق المقفل تموضع بشكل يثير ادراكا حسيا بالصفاء والامل وهو ينعكس بارقا يمسح الجباه داخل الحافلة التي كانت الزعقات فيها تعمل عملها في التواصل وتحريك الكوامن باحساس مصير واحد وانسلاخ واحد ـ ص ١٢٣ ـ

● الترك:

هو رجل ، ولكن هذا لقبه ، وهو ينجز كل ما يؤمر به دون حساب الممكن من المستحيل ، انه من عباد الله الذين يعيشون ـ أجراء ـ عند الاخرين ، حياة استخفاف واستبداد غالب الاحيان ٠٠ وهذا ـ الترك ـ يعيش في منطقة زراعية على امتداد نهر العاصي ـ في غربي حمص ـ اعتاد ـ السقاة ـ المبكرون في غبش الاصباح مشاهدته خلف قطع الحمير في سبيله الى عمق المدينة ٠٠ وفي العودة ترتفع قمامات ـ الزبل ـ فوق دوابه بكيفية مثيرة وهو يزجيها بقضيب رمان لايرحم ٠٠ لقد وصف : انه مجرد مسكين مدجن لحم كتفه من مال ـ معلمه ـ وشقوة ـ معلمته ـ ٠

وينفرد دريد الخواجة في هذه القصة كعادته ، في كسب موقف معين لهذا ـ الترك ـ عندما يوظف امكاناته في اتجاه مايتشوق اليه أو يرغب في أن يكونه هذا الانسان الذي لايستحق من الاخرين ـ الا الاستخفاف بشكله وبشيء اخر فيه ؟؟ بينما هو يمتلك احساسات دقيقة كأي رجل تجاه الاشياء التي حوله ، المرأة ، الطبيعة ، الطقس ٠ ولكنه لايبوح لاحد عما يختلج في عمق تلك الاحاسيس من أسرار حيال ـ تلك الكنوز اللحمية المعبأة في جلابيات ضيقة مزركشة تطالعه بكيفية مثيرة أثناء الانكباب على العمل في الحقول المجاورة ٠٠ ـ ص ١٢٧ ـ مما أكسبه ثقة الرجال والنسوة معا ٠٠ لكن ؟ صموته يعني وعيه للواقع الظالم الذي ثار عليه في النهاية وجعل من فعله تحديا وتحريضا يلهم أمثاله الثورة ٠٠ والتمرد ٠

ـ وككل كاتب مجدد ، يجيب ـ دريد ـ عن سبب عدم تدخله في حل مشاكل أشخاصه في قصص ـ وحوش الغابة ـ ٠ أنه ليس من مهمته حل مشاكلهم ٠ وانما مهمته تعني الاثارة والتحريض والحث على التغيير ٠٠ ولكن أقول من جانبي أنا بالذات ان يكون التغيير في اتجاه معاكس ٠٠ بمعنى لماذا لاندل أبطال قصصنا الى جهات الحب والخير والجمال فننمي عندهم الذوق السليم وتلمس وتحسس الاشياء الشريفة النبيلة ٠٠ وبالتالي نبني فيهم الانسان ٠٠ وليس غير الانسان ٠٠؟

● ودريد الخواجة :

صوت جديد ، ذو طبقات متعددة ومساحة شاسعة قد تكون في عالم القصة القصيرة ٠٠ بل سيكون ٠٠ وقد يغير في اتجاهها نحو عالم اكثر حساسية وبنبل وبراءة

دمشق في ٢ شباط ١٩٨٠

● اسماعيل عامود

أخبار ثقافية

● يكتسب كتاب « اسرائيليات في الغزو الفكري » للدكتورة بنت الشاطىء « عائشة عبد الرحمن » قيمته الفكرية من الموقع الذي منه تطل المؤلفة على الابعاد المترامية لابتلاء الامة العربية بطاغوت الهجمة الاسرائيلية فتوضح لنا جذور المحنة ، حيث يتشابه الامر علينا في دروبها الخفية الملتوية على حد تعبير المؤلفة : فتبدو حينا مسلكا للاستعمار وأحيانا مدخلا للصليبية ، ثم تختلط بها موجة الالحاد فتزيدها غموضا وتعقيدا حتى تلتقي شتى الدروب مفضية الى تل أبيب : كما تتشابه علينا الذرائع في أقنعتها الموهمة وأزيائها الخادعة فتبدو أحيانا وجها لخدمة التاريخ ، وأخرى لتطور الدراسة العالمية والتحقيق المنهجي ، وثالثة في زي العصرية والتقدمية ، ورابعة في صورة اليقظة من ضرر الافيون ، وتحمل مرة صليب القديس ، وأخرى مفتاح العلم والحضارة ، وثالثة كلمة السر الفاتحة لكنوز الدنيا والاخرة . ودليل الطريق الى الفردوس المفقود أو الموعود — .

وفي رواية بنت الشاطىء لاحداث المرحلة وواقع التاريخ لاتنفصل محنة العرب بالسرطان الصهيوني عن جراثيمه الضارة في خلايا الكيان العربي من قبل أن يظهر الداء .. لا هي منقطعة الصلة بأسبابها في الغزو الفكري الذي اجتاح ديارنا يمزق وحدتنا ويحاول ان يعد للنكبة جيلا ضائع الهوية موزع الولاء والانتماء بتفريغه من عناصر شخصيته القومية عقيدة ولسانا وتراثا وتاريخا ..

من أجل هذا تتابع المؤلفة جهادها في الموقع الفكري بالكلمة تهديها الى أجيال من أبناء أمتها العريقة الخالدة ، يرفضون الهزيمة والعار ويتحدون ذرائع الياس والاحباط والكفر والضياع ..

● ترجم المستشرق — جاك بيرك — كتاب المعلقات العشر ما قبل الاسلام .. لقد قام بهذا العمل الشاق شأنه في أعمال أخرى ذات صلة باللغة العربية ، بكثير من الابداع الذي يتخطى الحواجز اللغوية التقليدية عند العرب الى روحية الشعر الجاهلي وجماله وحكمته وبداهته ..

قال — بيرك — في المقدمة : — كيف يمكن نقل حدة وكثافة نص قديم ؟ كيف يمكننا تمثل هذه الانماط التي تبتعد عن انماطنا ؟ — ..

لقد سبق بيرك الى ترجمة هذه القصائد الجاهلية الشهيرة : جان جاك شميدث قبل عام ، لكنها كانت حرفية النقل مما أبعدها بل أفقدها الكثير من مقوماتها .. ولما كان — جاك بيرك — يفهم اللغة العربية بوجدانه فقد جاءت ترجمته — المعلقات — بحيث عرفت عبر التقليد العربي بهذا التحديد . لقد عرف — بيرك — الفرنسيين وغيرهم على : امرىء القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، وعبيد ، ولبيد بن أبي ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ... وغيرهم ..

● أول مركز ثقافي أفتتح في مدينة الرياض ، كان خلال شهر ربيع الاول ١٤٠٠هـ الموافق — يناير — فبراير — ١٩٨٠م فقد قام صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بافتتاح المركز التابع للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .. وهذا المركز الثقافي سيكون بداية لافتتاح مراكز أخرى في شتى أنحاء المملكة العربية السعودية وبالمناسبة ، فان رعاية الشباب تدرس موضوع تفرغ الاديب والفنان العربي السعودي ..

صدر حديثاً

● ـ وما أنت وحدك ـ المجموعة الشعرية الاولى للشاعر الشاب ـ فرج بيرقدار ـ من حمص صدرت عن دار الحقائق في بيروت ـ لبنان · تقع في مائة صفحة من القطع الصغير وتضم مجموعة هامة من القصائد التي تتصدى لمجمل الواقع السياسي المعاش

● عن دار مجلة الثقافة في دمشق صدرت المجموعة الشعرية الاولى للشاعر العربي المصري ـ حمدي متولي مصطفى ـ تحت عنوان ـ العصفور يصرخ في البرية ـ والمجموعة من القطع الصغير ـ الجيب ـ ويهدي الشاعر هذه المجموعة الى كل العصافير التي لم تصمت بعد ٠٠ وتحمل المجموعة هموم الانسان العربي الاجتماعية بصوت جارح ومبحوح ٠٠ والشاعر حمدي متولي من الشعراء الذين خصوا مجلة ـ الثقافة ـ بانتاجهم الشعري الذي تعتز به المجلة ٠٠

● حديقة النسل في لزوميات ابي العلاء المعري ، كتاب صدر لمؤلفه ـ الياس سعد غالي ـ يقع الكتاب في قرابة ٩٠ صفحة مع القطع الكبير ٠٠ وهذا الكتاب من سلسلة يصدرها الاستاذ غالي مستقاة من تراث أبي العلاء المعري الفكري والادبي · وفي هذه السلسلة خلاصة أفكار الاستاذ الياس سعد غالي في هذا الموضوع الذي يعتبر موضوعه الاهم ٠٠ وهاجسه الدائم ٠٠

● النمس الوفي ـ مجموعة من قصص الاطفال صادرة عن وزارة الثقافة والارشاد القومي بمناسبة السنة الدولية للطفل ، يقع الكتاب بـ ـ ٢١٠ ـ صفحة لعدد من المؤلفين ويضم ثلاث مجموعات من القصص ، ترجمها الاستاذ ـ عيسى فتوح ـ

● ـ امين الريحاني مفكر لبناني ـ كتاب جديد عن امين الريحاني ظهر بالفرنسية كاطروحة تقدم بها الباحث نجيب زكي ونال عليها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى بامتياز وصدرت الاطروحة بكتاب على نفقة جامعة ليل الفرنسية التي يقوم فيها الدكتور نجيب زكي برئاسة قسم اللغة الفرنسية ·

ويتلخص مضمون الكتاب باعتبار الريحاني من المفكرين الملتزمين بالانسان وبكتاباته المبشرة بالانسان المتفوق ويختلف الريحاني عن فيلسوفين يماثلانه بالنظرة الصوفية هما جبران ونعيمة ٠٠ بان صوفيته متحركة بينما صوفية زميليه تأملية ويرى الدكتور نجيب زكي ان اهمية الريحاني تكمن في ابعاد فكره العالمية بالرغم من ادبه المحلي الجيد ، الا ان فكرة الانسان العام يصب في بحر العالمية ويهتم بالانسان وسعادته · ومجتمعاته العربية ينظر اليها من خلال روحه الفكرية الواسعة ·

● كتاب ـ قطار الشرق ـ للاديب الغربي بيير جون ريمي احتل المرتبة الاولى بين احسن عشرة كتب في ادب الرحلات وحقق اكبر ايرادات في المبيعات في فرنسا هذا العام ٠٠ و ـ قطار الشرق ـ يضم مجموعة من القصص القصيرة تغطي احداثا تدور خلال رحلة لقطار الشرق الذي كان يقطع اوروبا حتى الحرب العالمية الثانية ٠٠